الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف -المسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....
رقم التسجيل ط1: 171735091682
رقم التسجيل ط2: 171735091482

المؤنث المقموع في الرواية العربية

- رواية ذاكرة من حنين لفوزية البدولوي أنموذجا -

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي
تخصص: أدب حديث

إعداد الطلبة:

- ✓ رفيعة مويسات
- ✓ فيجل خولة

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
غجاتي أسماء	محاضر أ	جامعة محمد بوضياف –المسيلة	رئيسا
د. جمال مجناح	أستاذ	جامعة محمد بوضياف –المسيلة	مشرفا
شبلي خالد	محاضر أ	جامعة محمد بوضياف –المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية : 2022/2021

شكر وعرفان

عملا بقول الله تعالى "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ"

إبراهيم :الآية 07

الحمد لله الذي أنار لنا دروب العلم والمعرفة ووفقنا إلى إتمام هذا العمل، فقد لا تكفينا

كلمات العالم للتعبير عن معنى الشكر والعرفان وقد لا يوصف معنى التقدير والامتنان،

نتقدم بأرقى عبارات الشكر والعرفان إلى الأستاذ الفاضل **مجناح جمال** الذي كان لنا سندا

وعونا من خلال إرشاده لنا ونصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة.

نسأل الله له دوام الصحة والعافية وأن يجعله الله منارة للبحث والباحثين.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذتنا الكرام الذين تدرجنا على أيديهم طيلة مسارنا

الجامعي ونتقدم بالشكر إلى كل من قدم لنا يد العون سواء من قريب أو بعيد في إنجاز هذه

المذكرة.

إهداء

قال الله تعالى " رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ " صدق الله العظيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

لم يبق للآخرين ما يقدمونه لي ... فإن والدي قد فعل كل شيء.

إلى سندي وملجئي الآمن ... داعمي ومشجعي الدائم ... حين ينادوني باسمه أسعد وأزدهر... بأني ابنته وثمرته... من رأيت انعكاس نجاحي وفرحي بريقا في عينيه...

إليك أبي العزيز "**عمر**" حفظه الله.

إذا رزقت بفرحة ابدأ بها مع أمك... رفيقتي وأماني ... بطلتي ومعلمتي الأولى ... من علمتني معنى الحنان والعطاء معنى الصبر والقوة والحب... من كان دعاؤها ورضاها بوصلتي في المسير...

إليك والدتي جميلتي "**سلمى**" أطال الله في عمرها.

إلى من كان شعارهم لي دائما السعي إلى الأعلى إلى الأكثر إلى الأمان وحبهم يسري في عروقي إخوتي وأخواتي... حفظهم الله

إلى من جمعتني بهم الأقدار يوما فأحبوني وأحببتهم عائلة رحموني

"**هدى وخالتي نصيرة**"

إلى من تحلوا بالإخاء وتميزوا بالوفاء ... إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات ... إلى من سأفتقدهم... صديقاتي

إلى من قضيت في رحابها أجمل أيام حياتي ... إلى من سأفتقد كل زاوية فيها ... إلى بيتي الثاني ... كليتي.

رفيعة

إهداء

"قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " صدق الله العظيم

الهي لا يطيب الليل إلا بشكرك..... ولا يطيب لنهار بطاعتك .....

ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك .....ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .....

ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك .....

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .....ونصح الأمة .....إلى نبي الرحمة والعالمين

إلى من كلله بالهيبة والوقار ....إلى من علمني العطاء دون انتظار ....إلى من احمل اسمه بكل افتخار ..... ارجوا الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا حان قطافها بعد طول انتظار ....

وستبقى كلماتك نجوما اهتدي بها اليوم وفي الغد والى الأبد **.... والدي العزيز "سعد"** أدامه الله تاجا فوق رأسي.....

إلى ملاكي في الحياة ....إلى معنى الحب والحنان ..... إلى بسمة الحياة وسر الوجود

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي إلى أغلى الحبايب **.....أمي الحبيبة ..... "حورية"**

إلى إخوتي ورفقاء دربي في هذه الحياة بدونكم لا شيء، معكم أكون أنا وبدونكم مثل أي شيء

كما أهدي هذا العمل إلى أستاذي الفاضل "**دراجي عباسي**" .

إلى الأخوات التي لم تلدهن أمي ....إلى تحلين بالإخاء تميزن بالعطاء وإلى ينابيع الصدق الصافي ، إلى من معهن سعدت برفقتهن في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت إلى من كن معي على طريق النجاح والخير .....

خولة

فهرس المحتويات

شكر	
إهداء	
فهرس المحتويات	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي: قمع المرأة والعادات العربية	
قمع المرأة والعادات العربية	5
الفصل الأول: صور المرأة المقموعة في رواية "ذاكرة من حنين"	
منهج التحليل في الرواية	12
تقديم الشخصيات	15
صور المرأة المقموعة	17
الفصل الثاني: أشكال القمع في رواية "ذاكرة من حنين"	
المطلب الأول: النفسية المحطمة	31
المطلب الثاني: المرأة الخاضعة	35
المطلب الثالث: المرأة المعنفة	39
خاتمة	48
قائمة المصادر والمراجع	51
ملاحق	
ملخص	

فهرس المحتويات

مقدمـة

مقدمة:

تعد الرواية من الوسائل التي تعبر عن الواقع الذي يعيشه الإنسان وهي ملاذ من لا يستطيع البوح بمشاعره وأحاسيسه التي لا يمكنه الإفصاح عنها علنا، ولقد استطاعت الرواية وبفضل قدرتها على الانفتاح أن تكون أداة بحث، بها يمكن استكشاف العالم والتاريخ وحقيقة مشاعر وأفكار واتجاهات الإنسان، وما يميزها أنها كسبت قدرة خاصة حينما وضعها الكتاب في خضم التوتر الثقافي.

وقضية المرأة حساسة نظرا للدور المهم الذي تؤديه في المجتمع خصوصا إذا تعلقت قضيتها بالجنس الأدبي الأكثر انتشارا وهو فن الرواية، ومن غير اللائق أن يتناول أي دارس موضوعا بعيدا عن المجتمع وقد أسهم الأدباء بآرائهم متناولين القضية بطريقتهم الخاصة، والتطرق لموضوع المرأة له أهمية كبيرة كونه يعالج قضية مطروحة طالما تحدثت عليها الشرائع السماوية، واستحوذت المرأة على القلوب والعقول أما وأختا وزوجة وليس بعيدا عن الروائية فوزية البدواوي التي جسدت عوالم الأنوثة بتشعباتها العامة في النصوص الروائية، لتحدثنا عن الحب والزواج والقهر ومعاناة المرأة العربية في عدة أشكال وصور وغيرها من القضايا التي شكلت أحد أهم الأسئلة في المتن الحكائي للرواية النسائية ،محاولة بكتابتها رواية :***ذاكرة من حنين***" أن تدافع عن القضايا المتعلقة بالمرأة وهويتها الثقافية واسترداد حقوقها المسلوبة بسبب التهميش والإقصاء، محاولة بذلك إثبات دور المرأة ومكانتها الأدبية، وقد لاقت رواياتها مكانة خاصة بسبب رسمها للواقع الذي تعيشة المرأة العربية من عنف وتهميش وظلم واحتقار وهو ما ميز رواياتها، في تناولها لأكبر القضايا الاجتماعية التي يستوجب على الكتاب معالجتها.

ومن خلال ما سبق سنحاول تحليل خلفية رواية ذاكرة من حنين وإدراج ما تحتويه من صور للمرأة وكل ما للموضوع من مضامين وأسرار عن قضية المرأة المقموعة وخلفيات استضعافها خاصة المرأة اليتيمة والمريضة نفسيا.

اختيارنا لهذا الموضوع يعود إلى عدة أسباب ذاتية تتمثل في إعجابنا بنص الرواية، وأسباب موضوعية تتمثل في معالجة الرواية لقضية تتعلق بواقع المرأة وما تعانيه من قهر وظلم وقمع، وتواجدها داخل المجتمع وكيفية التعايش فيه ومعه، بالإضافة إلى رغبتنا في اكتشاف عالم المرأة وما تتميز به من جماليات وقضايا في المتن الروائي.

ونهدف من هذه الدراسة إلى تبيان صورة المرأة في رواية " **ذاكرة من حنين**" لفوزية البدواوي، وما استندت إليه في تكوين نصها الروائي، وعلى هذا الأساس تتفرع إشكالية البحث ضمن منظور عام متمثلة في استجلاء وتحليل الخيال الروائي وتشكيله للمؤنث المقموع في كل صوره الممكنة ولتحقيق هذا المفهوم فرعنا الإشكالية على مجموعة أطروحات فرعية تبحث: المنظور التقليدي للمرأة؟ وتبحث تجليات المرأة في رواية "ذاكرة من حنين" وصور المرأة التي اشتملت عليها الرواية؟

ولمعالجة هذه الإشكالية قسمنا خطتنا إلى: مقدمة، وفصل تمهيدي، وفصلين في الموضوع ثم خاتمة. فتطرقنا في المقدمة إلى دوافع البحث، وطرح الإشكالية التي تخص صورة المرأة في الرواية، وخطوات البحث.

أما الفصل التمهيدي فتضمن المرأة والعادات العربية. وفيما يخص الفصل الأول فقد تطرقنا إلى صورة المرأة في رواية ذاكرة من حنين، والفصل الثالث قد اشتمل على أشكال قمع المرأة في رواية ذاكرة من حنين.

والخاتمة كانت عبارة عن خلاصة للبحث تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا للرواية.

وقائمة المصادر والمراجع احتوت على مجموعة الكتب التي اعتمدنا عليها في بحثنا، وفهرس الموضوعات الذي يشمل عناصر البحث.

ومن أهم المراجع التي اعتمدنا عليها: المرأة في الرواية الجزائرية لصالح مفقودة، المرأة والصراع النفسي لنوال سعداوي، واستعنا أيضا بالدراسات السابقة من المذكرات والأطروحات والمقالات نذكر منها: مذكرة صورة المرأة في رواية "حنين بالنعنان" لربيعة جلطي.

أما المنهج الذي اعتمدنا عليه فهو المنهج الوصفي بآلية التحليل باعتباره المنهج المناسب لدراستنا.

وفيما يخص الصعوبات التي واجهتنا في البحث فهي تتمثل في تعدد المصطلح الواحد وتشابه المعاني بالإضافة إلى تداخل المصطلحات، صعوبة التعامل مع النص الروائي وكيفية تطبيقه، مما أدى إلى تعسير سيرورة البحث.

وفي الأخير نرجو من المولى عز وجل أن نكون قد أحكنا جوانب الموضوع، فإن أصبنا فمن الله وحده، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.

الفصل التمهيدي

قمع المرأة والعادات العربية

قمع المرأة والعادات العربية:

(تتعالى مقولات "الجنس الأول" أو "الجنس الثاني "في ظل الثقافة العربية باعتبار الرجل/ الذكر النوع الحصري في قلب دراسات الجنوسة وأخلاقيات الجنسانية، في حين أبقي موضوع المرأة في مهب الممارسات الاقصائية التي لم تتردد عن قذفها خارج النسق الثقافي المهيمن، ليصبح كيانها مجرد طيف اجتماعي يراقب من بعيد الدور الفاعل والفعال لليقظة الذكورية وهمتها، مما أدى الى تجلي الموقف النسوي في شق طريق لمقاومة السائد الجنسي عبر النقد والكتابة والاحتجاج.)[1]

ويمكننا القول: أن المرأة لم تحظ بوعود تحررية كالتي نالها نظيرها الذكر، وهو نوع من المغالات المركزية في الهيمنة على "النوع الاجتماعي "وخطاباته السياسية والثقافية التي تختزل المرأة عنوانا للعجز والسلب فقط، ويبرز خير مثال على ذلك عندما يزور المرء متاحف الفن الحديثة، فيرى الأنثى الطبيعية –وعادة ما تكون عارية– وهذا ما يعكس تمثلات الذكور حول الأنثى كجسد عاجز وضعيف.

من الجلي أن فكر "لوس إريغاراي "النسوي ثوري الطرح، عندما دافعت بذكاء –عالمة اللسانيات والتحليل النفسي– عن ازدواجية الذات الانسانية وضرورة الاختلاف الجنسي طيلة أعمالها الفكرية الجادة، مشيرة إلى أن البشرية ليست واحدة بقدر ماهي قابلة للتصريف إلى اثنين "رجالا ونساء". و"النساء "هم مجرد نسخ عن فكرة الرجل المثالية، لذلك لا تسعى تلك النسخ إلى الكفاح من أجل التكافؤ، بل تظل تابعة إلى أصل لا يقبل النسخ، علاوة على ذلك (هذه النسخ الأقل مثالية وكما لا تعرف في حد ذاتها، بعبارة أخرى، عرفت تلك الذوات بأنها ذات فيها من النقص والقصور ما يكفي لجعلها في تبعية للذات المثالية.)[2]

---

[1] محمد بكاي: إيتيقا الأنثى ومقاومة التخيلات الذكورية: تأملات حول النقد النصفي عند لوس إيريغاراي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

[2] محمد بكاي، الغيرية واشكالية الهوية النسوية عند لوس إيريغاراي: نضالات الذات النسوية أمام الهيمنة الذكورية، في كتاب "الفلسفة والنسوية "اشراف وتحرير د. علي عبود الحمداوي، منشورات ضفاف–لبنان، ودار الأمان – المغرب، ومنشورات الاختلاف–الجزائر، ط1، 2013م ، ص431–432.

فتزخر " المرأة" أو "الفتاة" تحت طائلة القهر الذكوري، مكتومة الصوت، مجروحة الذات متحسرة على موضعها في مرتبة الثاني أو الثانوي أو الفرعي بعد الرجل، وتبدأ في تأنيب ذاتها لأنها كائن ضعيف محمل بالتخيلات التي فرضت عليها من الأنا الأبوي، الذي أغرقها في تبعية للرجل، أو قيدها في علاقة الفاعل والمنفعل، السالب والموجب، ولعل هذه التوجيهات الرمزية كانت تمارس بأنانية ذكورية ونوع من الاستعلاء والجبروت، غالبا ما يفتخر بصورته الفخمة التي باركها الأب.

وطدت إريغاراي في كتابتها لحرب لا هوادة فيها على السلطة الرمزية للمذكر التي حظرت على المرأة المشاركة في صوغ الخطاب، أو أن تكون شريكة في السياسة وادارة الأعمال، (فهي مجرد كيانات احتياطية مسخرة للأمومة أو القيام بالأعمال المنزلية، أو موضوعا للرغبة الجنسية أو ما يتصل بالإغواءات الشيطانية، وهذه النظرة السلبية مستمدة من عمق الأعراف الاجتماعية المستلبة من الكون الذكوري).[1]

من الإشارة أن التمييز بين الرجل والمرأة لصالح الرجل. ليس إرثا عربيا بل هو إرث عالمي. ولعل الأكثر دلالة في هذا المجال أن الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي وأبو الثورة الفرنسية "جان جاك روسو "كان ربما أول من اقترح انشاء مدارس للذكور وأخرى منفصلة للإناث. وهناك حقيقتان متلازمتان لابد من رؤيتهما: الأولى أنه لا مجال لإنكار أن المرأة العربية تعاني من الشعور بالدونية تجاه الرجل، وأنها بسبب هذا الشعور تبدو في كثير من المجتمعات العربية مستسلمة لوضعها المتخلف وكأنه قدرها الذي لا فكاك منه، تاركة الرجل يستغل هذا الضعف ليبرئ نفسه مما يجب أن يسأل عنه تجاه الوضع الذي تعاني منه المرأة.

والحقيقة الثانية أن شعور المرأة بدونيتها لم يأت من فراغ، بل جاء من مجموع العادات والتقاليد والأخلاق الموروثة عبر ألاف السنين، بل ولعل فهما خاطئا للدين أيضا ساهم في

[1] Luce irigaray،le temps de la défférence. pour une révolution pacifique، L.G.F ،"Le Lievre de poche. Poche biblio،1989.p21-24 .

تغطية كل ذلك. كذلك فإن القوانين والتشريعات التي بنيت أصلا على تلك العادات والتقاليد والأخلاق الفهم خاطئ للدين، كل ذلك أعطى كل الفرص لتأييد تلك "الدونية "لدى المرأة، وجعلها أحيانا تساعد خصومها وتساهم في تكريس المجتمع الذكوري وقوانينه وتشريعاته وأخلاقياته وبالتالي تكريس وتجديد استغلال المرأة.

"وقد كشفت رواية التسعينيات عن وعي يرى العنف نتيجة للتطرف المتصاعد بأشكال مثلتها نماذج لشخصيات تمارس عنفا، يبدأ فكرة تكبر شيئا فشيئا، ثم تتحول إلى تعصب يتخذ له مظهرا في الفكر والسلوك واللباس بالنسبة للمرأة المثقفة التي تتحدى المجتمع باسم الحرية وهو السبب الذي جعل شخصية الأنثى المثقفة.. هي على الدوام سلبية مغتربة وضائعة لا تملك حولا أو طولا ولا تحسم موقفا أو فعلا، صحيح أن هذه الشخصية هي على الدوام كذلك رافضة حانقة ومحتجة بصوت انفعالي جهير "... بيد أن الرفض والاحتجاج ليس إلا دليلا على السلبية والاغتراب والضياع، والصوت الانفعالي الجهير ليس أكثر من صيحة في واد، «ذلك أن الوعي الذي يتحكم في هذه الشخصية هو وعي انفعالي ذاتي ورومانسي»[1]،إضافة إلى تطرف السلطة، لينتهي ذلك كله بالقتل كأعلى درجات التطرف.

إن الحديث عن المرأة بوصفها كائنا مختلفا قديما قدم البشرية، فمنذ الأزل اعتبرها كل من "أفلاطون" و "أرسطو" كائنا ناقصا عقليا لا قدرة لها على القيادة والإدارة، ولا مكان لها في الحكم، فهذا هو "الإمام الغزالي "الذي لا يجد حرجا في أن يكون الرجل متبوعا لا تابعا، فهو السيد ذو الهبة والنفوذ.

فعلى ما يبدو عاشت تحت سيطرة الآخر، ونعني بذلك السلطة الذكورية المتمثلة في سلطة الأب، الزوج، الأخ، الولد الذي لا يرى المرأة منوطة مثله بالعمل خارج البيت، فهي

[1] شريف حبيلة صورة التطرف في الرواية الجزائرية منشور على الموقع : ص03 https://www.philadelphia.edu.jo › alsharief_7abeleh

منوطة بخدمته تنجب الأولاد وتستمر على تربيتهم وليس من حقها أن تجد أو تختار شريك الحياة بخلافه هو «فالاعتراف بالحب شبهة ...كإحدى الكبائر كالقتل»[1]

كما اكتشفنا أن الحرية نسبية إذا كان بمقدورك في أسوء الحالات الحصول عل جزء صغير منها»[2]، وما دامت الأنثى لا تولد أنثى، وإنما تصبح كذلك حسب اعتقاد "سيمون دي بوفوار" أي أنها لا تولد ناقصة ولكن نظرة المجتمع هي التي تجعلها كذلك، وبهذا أصبح المجتمع عائقا أمامها تحاول الخلاص منه، ولذلك تسعى جاهدة إلى تحرير نفسها من قيوده وتقاليده لتبرهن للرجل خاصة أنها ليست أقل منه شأنا.

ويعتقد البعض أن مكان المرأة في بيتها فقط وأن عملها يجيب أن يقتصر على رعاية زوجها وأولادها والقيام بشؤون بيتها، وقد تجلى هذا الاعتقاد عند "أرسطو" الذي أجحف في حق المرأة، بل كان قاصرا معها باستبعاد المرأة تماما من ميدان الثقافة والسياسة والحياة الفكرية بصفة عامة ليجعل وظيفتها تقتصر على الانجاب، وهذا من غير خروجها للعمل فهو تقليد غربي لا يمت للتقاليد الإسلامية بصلة.

<< لقد شكلت المرأة في تاريخ الثقافات البشرية موضوعا للجدل والاختلاف، وليس لأن هذا الموضوع بأهم من موضوع الرجل، وإنما لأن المرأة كانت وما مازالت هي الطرف الأقل أهمية في ثنائية الرجل / المرأة عند بعض الثقافات، سواء أكان ذلك على المستوى الثقافي أو الإنتاجي، ويعود ذلك إلى عدة عوامل كونها مستلبة وموءودة معنويا وجسديا، لدرجة أنها لا تحيا لنفسها وبنفسها، إنما تحيا للآخر فهي ترى بعينيه، وتسمع بأذنيه، وتحيا بإرادته وحدها>>[3]، إضافة إلى دفعها للتنازل عن حقوقها وممتلكاتها، فمثلا عندما يأخذ الذكر نصيبه من ميراث والديه يعتبر حق له، أما المرأة / الأنثى فيعتبر ذلك جرما وليس من حقها التمتع به أو أخذه.

---

[1] فضيلة الفاروق، اكتشاف الشهوة، ط1، رياض الريس، بيروت – لبنان، 2006، ص99.

[2] زانغ كزيليانغ، نصف الرجع امرأة، ترجمة ابي نادر، ط1، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، 1999، ص35.

[3] صبرينة الطيب، آليات السرد في الرواية النسوية الجزائرية دراسة بنيوية تحليلية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص 72.

كما تشكلت دونية المرأة في الوعي الذكوري من خلال الموازاة بينها وبين الأشياء الجميلة الممتعة في الحياة، كالجمال والحب ...، فلا يكاد يخلو نص روائي من طرح شواغل المرأة كعلاقتها بجسدها، فأينما كانت المرأة سواء في الأسرة أو في المجتمع أو في العالم أو التاريخ فقد شكلت خطابا دراميا بطلته المرأة الضحية، التي تجبر على تقبل ظروف الاضطهاد بصفتها سلعة مهيئة للبيع في ظل هيمنة ذكورية تضطهدها وتلغي شخصيتها.

وقد كان مجتمع الجاهلية من أشد المجتمعات قسوة وأكثرها حقدا تجاه المرأة يكفي أنهم كانوا يدفنون البنت حية عند ولادتها، لكن بعد مجيء الإسلام نجد القرآن الكريم يرد عليهم وعلى هذا العمل الشنيع، لقوله تعالى حين يبشر الأب بولادته الأنثى «وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ»[1]. (النحل الآية 58).

وتعتبر المرأة في المجتمع العربي دون الرجل وأداة لمتعته يستغلها كما يريد فعند ولادة البنت تستقبل بقليل من الفرح، أما عند ولادة الذكر فهم يستقبلونه بفرح كبير باعتباره مصدر إنتاج وقوة عاملة ،فمجتمعاتنا العربية تعاني عدة مشاكل اجتماعية، وتعارض سبيل تقدمها جملة من عوارض التخلف ومظاهر الظلم، ومن جملة المشاكل المطروحة قضية المرأة، هذه القضية القديمة المتجددة، فالبعض يرى ضرورة التزام المرأة بالبيت ولبس الحجاب وتربية الأولاد بينما ترتفع أصوات أخرى لتمزيق هذا الرداء الأسود والانطلاق إلى العمل والمشاركة في الحياة جنبا إلى جنب مع شقيقها الرجل.

فللمرأة وجود يحتل مساحات كبيرة، فقصائد الشعر العربي تنوء بوصف النساء ولوحات الفنانين تعتمد على هذا الموضوع، وكذا الأفلام والإشهار والأسواق، فالمرأة هي «جزء لا يتجزأ من حفلات المجتمعات الراقية، ومن عروض الأزياء ومن النوادي المخصصة للقمار وغيرها من المنشآت السياسية»[2]

[1] سورة النحل، الآية 58.

[2] د. مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص14

فالمرأة العربية قد شهدت تسلطا من قبل الرجال ،وبلغ الأمر عند بعض القبائل إلى وأد البنات كما ذكرنا سابقا، أما بعد مجيء الإسلام فقد تعززت مكانة المرأة خاصة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وبهذا فإن المرأة تبقى مخلوقا قاصرا رغم الثقافة والتعليم والمسؤولية، لا لشيء إلا لكونها امرأة، والمرأة في المجتمعات العربية مقهورة ومضطهدة، ولا سلطة لها، فالرأي الأول والأخير للرجل الذي يمارس سلطته عليها بكل استبداد وعنصرية، فلقد تعرضت هذه الأخيرة خلال مسيرتها الحياتية إلى مجموعة كبيرة من العوامل الهدامة، كالعنف والقسوة والتهميش والظلم والقهر وحتى الوأد والقتل، والعامل الذي يقف خلف كل هذه الظواهر هو الرجل لأنه اتخذ من كل هذه الظواهر قوة له، وكأنه يعتقد أنه دون ممارسة العنف والقوة لا سلطة له على المرأة، في حين أن المرأة تكفيها كلمة طيبة واحدة ليجعلها الرجل خاتما في اصبعه.

حيث قيل «أن الرجل اتخذ كل احتياطاته في النظام الأبوي لحماية ممتلكاته دافعا المرأة إلى البقاء داخل المنزل ومحملا إياها مسؤولية الحفاظ على النسل»[1]

وهذا ما نلمسه كذلك في بعض الدول، فقد كانت المرأة تحظى بمكانة دانية جدا وكانت تعامل معاملة البهائم، وكان لا يسمع لها صوت، وحتى عندما يناديها رب الأسرة فهو ينعتها بصفات تقال للحيوانات ولا ينطق اسمها بتاتا.

ربما تكون هذه المعاملة السيئة متوارثة عن الأجداد، وهذا للزمن العصيب الذي عايشوه وترعرعوا فيه، أو يعتقدون أن نطق اسم الزوجة عيب أو فيه مساس لشرف الرجل، وهذا يقلل من سلطتهم وقوتهم.

فقد كان عالم المرأة مليء بالعذاب، وإن عارضت على ذلك كان عقابها الضرب ولهذا كثيرا ما نسمع ونشاهد محاولات للتمرد من بعض النساء اللواتي تعرضن للقهر الاجتماعي والاضطهاد والظلم من طرف الأب أو الأخ أو الزوج...

[1] د. الشريف حبيلة، الرواية والعنف، (دراسة سيوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010/1431، ص210.

الفصل الأول

صور المرأة المقموعة في

رواية "ذاكرة من حنين"

1.منهج التحليل في الرواية

لقد قدم فرويد مجموعة من الوسائل والآليات في الدفاع عن جسم الشخص، فتحدث عن مجموعة وسائل الدفاع هذه ليكون بإمكان الشخص أن ينظر إلى نفسه بصورة ايجابية مناسبة وقد ركز فرويد عن وسائل وآليات الدفاع على كيفية دفاع الأنا عن نفسها ضد الأحداث أو الدوافع الداخلية التي تعتبر غير مقبولة، ومن شأن آلية الدفاع هذه أن نتعامل مع الصراعات القائمة بين الهو والأنا والأنا العليا، وقد أشار إلى أن المحرك الاساسي للناس هو التوتر والقلق وقد وجد فرويد أنواع القلق الثلاث وهم قلق الواقع والقلق العصابي والقلق الأخلاقي، وغالبا وسائل الدفاع تظهر باللاوعي ويميل إلى التشوية وتزييف الواقع بحيث يحدث تغيير في الإدراك والذي بصفته يسمح بتقليل القلق الذي يواجه الشخص ويؤدي إلى منع التوتر، وقد أشار سيغموند إلى العديد من دفعات الأنا خلال فترة عمله ولكن ابنته "أنا فرويد" قامت بتطوير وسائل الدفاع النفسي بشكل أوضح وهذا ما سنطبقه على هذه الرواية.

- **الإنكار:** هو رفض الفرد رؤية الواقع أو الاعتراف بالحقيقة حتى لو كان هناك دليل قطعي على وجود هذه الحقيقة ومثال على ذلك في رواية ذاكرة من حنين هو عدم تقبل «أحلام» لمرضها النفسي حيث تشير في مقطع **(لم يكن بانفصام الشخصية أي دليل)**[1] وتقول أيضا **(ربما هم جميعهم مجانين وأكون أنا العاقلة فقط، فلا يشترط أن يكون المختلف هو على خطأ، ولا يشترط أن أتبع الأغلبية حتى أكون على صواب)**[2]

- **الإزاحة:** وهو أن يفرغ الفرد غضبة وانفعالاته على أشياء وعلى أشخاص لا يشكلون مصدر خطر عليه، ومن أمثلة الإزاحة على رواية "ذاكرة من حنين" هو إفراغ غضبها على جدتها التي كانت تضن في نفسها أنها مصدر تعاستها على الرغم من الحنان الذي كانت تعطيها إياه وخوفها الشديد على مستقبلها، ما جعلها تشعر بتأنيب الضمير لتتدارك الوضع

[1] فوزية البدواوي، ذاكرة من حنين، ط2، مكتبة كنوز المعرفة، الأردن، 2021، ص 195.

[2] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 121.

وتندم على أفعالها معها، وهي تصور ذلك في قولها **(ماذا فعلتي يا أحلام؟ كنت على وشك أن تقتلي جدتك، آخر ما تبقى لك في هذه الدنيا، رائحة أهلك مغروسة فيها، حافظي عليها)**[1]

- **الإستفهام أو العقلنة:** وهي أن يتجنب الفرد التفكير في المشاعر الغير مقبولة والعاطفية والتركيز على الجانب العقلاني، ويتجلى ذلك في قول «أحلام» **(كانت لدي رغبة واحدة وهي معرفة الحقيقة)**[2]، وفي موضع آخر نجد «أحلام» المرأة العاقلة التي تبحث عن الحقيقة مهما كانت بشاعتها، ومهما كان ألمها في نفسها كبير، فتقول **(في حينها لم أملك سوى «أحمد» حتى أصل إلى الحقيقة مهما كانت مؤلمة، مهما كانت قاسية ومهما كانت غير متوقعة)**[3]
- **الإسقاط:** وهو أن يسقط الفرد ما لا يتقبله عن المشاعر عن الآخرين.
- **التبرير:** وهو أن يفسر الفرد التصرفات والمشاعر غير مقبولة بأسلوب عقلاني أو منطقي مثل تخلص «أحلام» من حالتها النفسية المعقدة وعودتها للحياة مجددا وتحقيق آمالها وأحلامها.
- **التكوين العكسي:** يقلل التكوين العكسي من القلق عبر الاستحواذ عن الشعور أو الأحاسيس أو الشعور أو الحافز أو التصرف المعاكس في الواقع. ومن أمثلة ذلك في الرواية صراخ «أحلام» الذي وجدت فيه راحة نفسية لبرهة، ثم انتقلت إلى إطلاق عنانها في الكتابة الذي أصبح سلوك يشفي نفسها من كدر خطوب الحياة وفي ذلك تقول **(وجدت في الصراخ بعض الشيء من الراحة، ولكن وجب علي الاستغناء عنه حتى أتحفظ بتعقلي،**

[1] فوزية البدواوي، ذاكرة من حنين، ط2، مكتبة كنوز المعرفة، الأردن،2021، ص 73.

[2] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 123.

[3] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 122.

وبالطبع لن يتم ذلك إلا بعدما أجد بديلا، فقد اقترح علي الطبيب النفسي أن أكتب وبدأت من حينها رحلتي مع الكتابة ومنذ يومها وأنا أكتب وأكتب وأكتب ومازلت أكتب)[1].

- **النكوص:** وهو العودة إلى المستوى السابق من التطور، ويتجلى معنى النكوص في رواية "ذاكرة من حنين" في تدهور الحالة النفسية ل "أحلام" عندما فقدت أهلها ما شكل لديها حالة نفسية صعبة ومع تلقيها العلاج من طرف الطبيب ياسر وعودة الأمل مجددا في نفسها بعد زواجها من «أحمد» الذي كانت تنظر منه تعويض فقدانها لأبيها وأمها وجميع أسرتها إلا أنها انصدمت مجددا بالواقع المرير حيث أن الزوج عاملها بعنف وتهميش وقهر واستعباد ما صعد مستوى مرضها النفسي وعادت مريضة مجددا، وهي تصور الحالة التي آلت إليها وتقول **(كنت ورقة خضراء في شجرة مثمرة حتى سقطت في ذلك الخريف)**[2].

- **الكبت أو القمع النفسي:** وهو إبقاء الأفكار والمعلومات في معزل عن الإدراك الوعي، وإسقاطا على أحداث الرواية نجد أن الكبت من المصطلحات النفسية الواردة في نص الرواية، والراوية تتكلم على لسان «أحلام» وتقول **(كانت في داخلي غصة قد كبتها منذ أيام)**[3] تعبيرا منها على تلك الأمور والأحداث التي شغلت نصيبا من حياتها ولم تستطع أن تبوح بها علنا وصراخا كي يزول ألمها وتشفى به روحها.

- **التسامي:** وهو تحويل الأفعال غير المقبولة إلى أفعال مقبولة اجتماعيا وهذه الدفاعات لا تخضع تحت سيطرتنا الإدراكية، ويستخدم عقلنا الباطن واحد أو أكثر من هذه الدفاعات النفسية لحماية الشخص من مواقف تعتبر الدفاعات طبيعية عادية وبدونها يتطور العصاب ليصبح مثل حالات القلق والرهاب والهوس والهستيريا.

---

[1] فوزية البدواوي، ذاكرة من حنين، ط2، مكتبة كنوز المعرفة، الأردن،2021، ص 25.

[2] المرجع نفسه، ص 13.

[3] فالمرجع نفسه، ص 71.

2.تقديم الشخصيات

أ. أحلام

قدمت الروائية فوزية نموذجا عن الروايات النسوية الصريحة الرافضة لواقع المرأة المهمشة والمستضعفة في المجتمع العربي الذي يحتاج في الطلق إلى إعادة نظر في وضع الأشخاص في أمكنتهم الخاصة، نرى الكاتبة أنها بكتابة روايتها قدمت زوج «أحلام» ضمن الشخصيات السلبية لكي توجه رسالة صارخة إلى الرجل لتدعوه فيها إلى إعادة النظر اعادة النظر في مضمون المرأة في كونها كائن ذو قيمة وليس مجرد وعاء لنزواته ورغباته.

والواضح من خلال الرواية أن فوزية قد حاولت تقديم شخصية المرأة «أحلام» والتي تمتاز بالذكاء وامتلاكها لثقافة واسعة في الفيزياء وعلم النفس وغيرها من العلوم، كقولها: **(أتعلم؟ أشبه حالي بالزنك الذي إذا شددته بقوة معينة يعود إلى وضعة الطبيعي، ولكن ما إن تشه بقوة أكر. أكثر من القوة التي يستطيع احتمالها حتى يبقى مشوها في استطالة لم نعتد عليها ويختفي تموجه بعدها، أشعر بأني قد فقدت تموجي في بحيرة العمر فليس هناك أي حجر يمكن له أن يعيد هذه الموجات الصغرة الممتعة إلى بحيرة عمري، وليس هناك أي قوة يمكن لها أن تعيد الزنك إلى حالة الانتظام والعاقة الطردية التي كانت تربطه بالمسافة وهذا مفهوم فيزيائي)**[1] وتذكر في موضع آخر **(ليتك كنت تفهم منها أي من قوانين نيوتن كقوانين الجاذبية وتفهم أن الذي حدث للتفاحة كاد أن يحدث بيننا بالطيب والمعاملة الحسنة، ليتك قد فهمت أن لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومضاد له في الاتجاه، ليتك قد فهمت الأشكال الهندسية في الرياضيات حتى تعلم أن الدنيا كالدائرة تعود متى ما رسمتها إلى نقطة**

[1] فوزية البدواوي، ذاكرة من حنين، ط2، مكتبة كنوز المعرفة، الأردن، 2021، ص 11.

البدايـة، وأن القطـر مـا هـو إلا خدعـة من علـماء الرياضيـات حتـى يتغلبـوا علـى عجزهم في قياس محيطها ومساحته)[1].

كما قد رسمت الروائية شخصية «أحلام» على أنها شخصية مريضة نفسيا نتيجة لتعرضها لصدمة فقدانها لأهلها وذويها الأمر الذي خلف في نفسها انكسار، ونمى بداخلها شعور الخوف والفزع والحزن الشديد ما أثر على توازنها وصحتها النفسية التي باتت تعيش في انهيار وتشتت كبيرين، الأمر الذي تولد عنه معاناتها من الأوهام، والهلوسة والفصام الأمر الذي حاولت جاهدة التخلص من تداعيات هذه الأمراض النفسية المستعصية.

أما الجانب الذي اعتمدت عليه الروائية في تصنيف المرأة هو جانب الضحية في نقل صور التهميش والاستضعاف والدونية وهو الأمر، الملاحظ وفي أغلب الروايات النسوية وخاصة في الروايات التي تصور المرأة على أنها الضحية للأهل والأعراف الاجتماعية البالية، وتأكيد هذا الأمر بالصحيح لأن المرأة في البيت هي الضحية وفي الشارع أيضا وفي العمل أما «أحلام» فكان الضحية للتبعية وفي زاوية أخرى الجانب المضيء للمرأة المثقفة والحبيبة والأم حيث اعتبرت الرجل هو المركز والمرأة هي الهامش لكن «أحلام» استطاعت التغلب عن التبيعة والوحدة.

ب. أحمد

أحمد هو زوج «أحلام» الذي كان متشبعا بالثقافة الذكورية القامعة للمرأة والسالبة لحريتها، لذا فقد كان شخصية عصبية معقدة وعنيفة لأنه كان دائما ما يعتدي على زوجته «أحلام» بالضرب والشتم والسب، الأمر الذي صعد من حدة مرضها وجعلها أكثر اضطرابا.

ج. جدة أحلام

وهي امرأة شرقية أصيلة ساندت «أحلام» في جميع مطبات حياتها إذ أنها آوتها بعد رحيل أهل «أحلام» عن الدنيا وموتهم في الحادث، كما أنها امرأة محبة للشخصية الرئيسية

[1] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 11- 12.

«أحلام» حاولت قدر المستطاع حمايتها من المجتمع وما يحمله من بشاعة وظلم قد تتعرض له حفيدتها «أحلام» بعد أن أصبحت شابة يتيمة، لذا فقد عملت على تزويجها لأحمد لأنها رأت فيه الرجل المناسب، وأنه أهلا للثقة ليكمل حياة «أحلام» وينتشلها من بحر أحزانها.

د. ياسر

وهي شخصية متعددة الوجوه إذ أننا نلاحظ ورود ثلاث شخصيات باسم ياسر، أولها أخ «أحلام» وهو الأخ الهادئ الحنون الذي توفي في الحادث مع أهله، وياسر الطبيب الذي توهمت «أحلام» بأنه معالجها وطبيبها والذي كانت تكن له مشاعر الحب والإخلاص، وبرغم رحيل طيفه من حياة «أحلام» إلا أنه كان دائم الحضور في قلبها وذاكرتها، فقد امتلكها بحبه وحنانه واحترامه لشخصها ومساعدته لها في اكتشاف ذاتها وموهبتها في فم الكتابة والرواية، أما الشخصية الأخيرة التي وردت باسم ياسر فهو ابن «أحلام» الذي لم تكتب عنه في الرواية إلا في نهايتها موجهة له فيها إهداء لعملها ورسالة عميقة مليئة بالحب.

3.صور المرأة المقموعة

أ. المرأة المستضعفة

تعتبر رواية "ذاكرة من حنين" من الروايات النسوية التي عالجت قضية صراع المرأة مع مرضها النفسي وتصوير معاناتها من الظلم والتهميش والدكتور صالح مفقودة يشير إلى الرواية النسوية ويقول، (أما وجود المرأة في ميدان الأدب فيحتل مساحة كبيرة، فقصائد الشعر العربي تنوء بوصف النساء ولوحات الرسامين، تعتمد على هذا الموضوع وكذلك الإشهار والأفلام والمرأة في الرواية تحتل نصيب أوفر وكذلك الشأن في الدراسات الأدبية والاجتماعية)[1].

[1] صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، بسكرة، الجزائر، ط2، 2009، ص10.

أحلام هي الشخصية الرئيسية في الرواية والشخصية الرئيسة أو المحورية، هي التي تشغل بؤرة الرواية من بدايتها إلى نهايتها، وهي التي تكون ظاهرة في الرواية تخدم إظهار الهدف الرئيسي فيها، ومن خلالها نصل إلى الحدث الجذري فالشخصية المحورية هي التي تدفع بأحداث الرواية إلى الأمام، وهذه الشخصية لابد أن تتمتع بقوة الإرادة وقوة الشخصية لأنها هي المحرك الرئيسي للأحداث والمؤثرة في كل ما حولها من شخصيات، ولا يمكن لأي شخصية أن تكون محورية إلا إذا كان الدافع المحرك لها في الأحداث حيويا جدا[1].

تبدأ قصة «أحلام» عندما فقدت عائلتها التي كانت تعتبرهم محور حياتها وأساسه، حيث تشير في قول لها **(ما زلت أذكر تفاصيل ذلك الحادث المريع بعد توجه أسرتي لصلالة. صلالة التي لم أزرها يوما، وما زلت أشم رائحة الموت كلما ذكرها أحد لي)**[2]، منذ ذلك الحين توقفت حياة «أحلام» ومات فيها الأمل وحب وشغف الحياة، لم تعد «أحلام» تلك المرأة السابقة التي كانت تحلم بدخولها كلية علم النفس ومواصلة تعليمها وتثقيفها، كل تلك الأحلام دفنتها مع جثامين أسرتها.

انتقلت «أحلام» للعيش مع جدتها، لم تلبث طويلا إلا وتزوجت من زوجها «أحمد» الذي كانت تعتبره وقتها عوضا عن حنان أمها وسند أبيها، لم تستقر حياتها طويلا حيث بدأت المشاكل بينهما بسبب تذمره، رجولته المفرطة، حب التملك والسيطرة التي اعترت نفسه، كل هذه التصرفات جعلت من «أحلام» رهينة زوجها «أحمد» الذي حطم كيانها بتصرفاته.

عاشت بطلة قصتنا حالة من الرعب والقلق والكبت النفسي نتيجة المعاملات التي كانت تتلقاها، كالعنف والضرب والشم، ما تسبب في تمكن شعور الخوف والفزع منها، ويقول إحسان في هذا الشأن: **(وهذا الخوف المرضي من الزوجة الجديدة أو الخليلة أحد أعراض**

[1] عادل النادي، مدخل إلى كتابة الدراما الهيئة المصرية ألعامة للكتاب، طبعة الثالثة، 1993، ص 48- 49

[2] فوزية البدواوي، ذاكرة من حنين، ط2، مكتبة كنوز المعرفة، الأردن، 2021، ص 14.

الشعور بالدونية والإهمال الذي ينتاب الزوجة لدى استغراق زوجها في الارتباط بالعالم الخارجي بحيث تقوم بينة وبين زوجته مسافة نفسية سحيقة وتجعل وجودة داخل البيت جسميا مجردا كذلك ذا أبعاد وجدانية وفكرية)[1].

صورت الكاتبة "فوزية" العديد من التصادمات بين «أحلام» وزوجها أحمد، والملاحظ أنه يعنفها على أبسط نقاش يحدث بينهما، كنقاشهما حول عودتها إلى متابعة تعليمها حيث **(كان ردة اصمتي يا امرأة، وإلا سألطمك حتى تتناثر أسنانك)**[2]، وقد صورت الكاتبة فوزية جوابه الذي تسبب في كسر وجدانها وأعطته بعدا دلاليا يعبر عن حالها بعد هذا الجواب حيث قالت: **(كانت الإجابة هي عبارة عن لطمة قاسية)**[3]، وكأنه قتل روحها المتفائلة مجددا للحياة بعد دخوله لها.

عبرت «أحلام» من خلال الرواية على حزنها وألمها عن قهرها من قبل زوجها، ذرفت الدموع كثيرا ولم تجد من يمسحها من على خدها، فلقد غابت تلك الأيادي التي كانت تمتد لها لتنتشلها ما إذا سقطت أو هوت من كذر الخطوب التي تمليها عليها الحياة، والحقيقة المرة أن «أحلام» لم تفقد أهلها ومصدر أمانها وقوتها في الحياة إنما فقدت كذلك ثقتها في من حولها، فقدت أحلامها وشغفها في الدراسة لتتبخر تلك الأحلام وتنكسر معها الآمال ليموت معها الإحساس ويتجدد ذلك في قولها **(حالة الصدمة التي كنت فيها جعلتني أغيب عن الوعي أو ربما فقط أفقد الإحساس، الإحساس بالحياة وأي شعور سيكون أشد ألما من هذا الشعور؟)**[4].

للخيبات المتتالية والانكسارات التي تتعرض لهم المرأة تعمل على إضعافها وقهرها لتزعزع استقرارها وسلامها الداخلي، حتى يصبح شيء متوقعا ومتوعدا عليه في كل الأحيان

---

[1] احسان عبد القدوس، صورة المرأة في روايات احسان عبد القدوس، دار القصبة للنشر، د ط، الجزائر، 2000، ص175

[2] فوزية البدواوي، ذاكرة من حنين، ط2، مكتبة كنوز المعرفة، الأردن، 2021، ص 20.

[3] المرجع نفسه، ص 20.

[4] المرجع نفسه، ص 23.

وتتولد في نفسها شعور بسوداوية الحياة وجورها الدائم، و«أحلام» قد عبرت على ذلك في قولها **(باتت الخيبة تترصد خطواتي، وتستغل عثراتي حتى تطبع وصمة عار على جبيني)**[1]، وكأنما المرأة في هكذا مواقف وهكذا مسيرة حياة تتشبع بالألم وترفع راية الاستسلام فيها.

ب. المرأة اليتيمة

صورت الكاتبة معاناة شخصية «أحلام» من اليتم وفقد أهلها، حيث أنها لم تستطع تجاوز الصدمة ولم تستطع الرجوع إلى الحياة الطبيعية من بعدهم، حيث قالت: **(كان خبر وفاتهم لدي كالفاجعة، أو كشيء أقسى، صفعني الزمان به ومازال يداوم صفعي بأحداثه المؤلمة ولا أعلم لم؟)**[2].

كثيرة هي الصور الحزينة المؤلمة والأحاسيس الممزقة بالمآسي وغصة الحنين للقيا الأهل بعد وفاتهم والتي شعرت بهم «أحلام» في الرواية، فأكثر ما آلم «أحلام» هو موت جميع أهلها في الحادث دون توديعهم دون لقياهم في آخر مشهد كان سيعزيها طوال ما تبقى من عمرها، موت الفجأة هذه التي تعرض لها أهل «أحلام» جعلها تفقد عقلانيتها وجعلها تفقد توازن نفسها الداخلي، لم تتقبل فكرة موتهم جميعا واستحالة رؤيتهم مجددا، ضلت «أحلام» تحت وقع الصدمة، ولم تسلم من مطاردة الذاكرة لها ذاكرة رؤية الحادث الذي تعرض له أهلها فكثيرة هي المواضع التي ذكرت فيها تفاصيل الحادث حيث ذكرت في إحداها: **(مازلت أتذكر تفاصيل ذلك الحادث المريع بعد توجه أسرتي لصلالة)**[3]، الوجهة التي أبت «أحلام» التوجه إليها مفضلة البقاء مع جدتها.

بعد وفاة أهل «أحلام» تغير نمط وأسلوب حياتها تألمت كثيرا ودخلت في حالة يأس وتشتت عاطفي فقدت على إثره توازنها العاطفي النفسي ودخلت في حالة من عدم الإدراك

[1] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 122.

[2] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 13.

[3] فوزية البدواوي، ذاكرة من حنين، ط2، مكتبة كنوز المعرفة، الأردن، 2021، ص 14.

والسوداوية في التفكير، مما جعلها تعاني من الكبت والوسواس وأكثر من ذلك الهلوسة وتشتت التفكير، تغيرت «أحلام» لدرجة أنها لم تعد قادرة لا على الأكل ولا على الشرب، واعتزلت أحلامها في مزاولة دراسة تخصص علم النفس في الجامعة الأردنية التي طالما حلمت بدخولها.

بعد أن صارت «أحلام» فتاة يتيمة تعرضت للعديد من المواقف وتجرعت مرارة الحياة الجائرة الظالمة وكأنه انكشف عن الدنيا سترها في عيون أحلام، ورأت الجانب المظلم فيها الجانب الفاسق الظالم، كشفت النوايا وظهرت الحقيقة البشعة عن الكثير ممن كان حول «أحلام» وهي في هذا الصدد تقول: **(فبعد وفاة عائلتي أصبت بإكتآب حاد اعتزلت على إثره الأكل والشرب اعتزلت العالم بأكمله، رأيت مدى سوداوية العالم وأدركت مدى ضبابيته)**[1].

ويعد الزواج من الأمور المقدسة له عادات وتقاليد تختلف باختلاف الأشخاص والمجتمعات ومن الأمور التي قد تهدم هذا الرباط تعاسة المرأة في الزواج، ولعل أهم الأسباب عدم اختيارها لشريك واجبارها على الزواج دون موافقتها في المجتمع العربي خاصة المرأة اليتيمة التي لا سند لها ولا توجد أذن صاغية لآرائها حينما يدق رجلا أبواب أهلها طالبا الزواج منها، كقول الروائية **(لا أريد الزواج من «أحمد» فلتفهمي ذلك يا جدتي)**[2] حينها لم تستمع جدتها لها وردت عليها قائلة: **(لن أسمع منك أي شيء)**[3].

وكذلك تعدد الزواج ظاهرة منتشرة في العالم العربي حتى لو كان على حساب سعادة وراحة زوجته ولقد بينت الكاتبة في روايتها هذا الشيء في زواج في الرواية النسائية تظل علاقة الرجل بالمرأة التقاء قطبين متناقضين المرأة بصورتها الايجابية والرجل بصورة سلبية،

[1] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 16.

[2] ذاكرة من حنين، ط2، مكتبة كنوز المعرفة، الأردن، 2021، ص 60.

[3] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 60.

لأن الكاتبة تعتبر زواج «أحلام» ورطة يجب الخروج منها ومشروع محكوم عليه بالفشل وشعور شخص محكوم عليه بالإعدام.

والتهميش والظلم الذي تتلقاه الزوجة اليتيمة في جميع مستوياتها (متعلمة، عاملة، غير متعلمة) من الزوج الذي يظهر لنا من خلال سرد الرواية، ووضع وإحساس (أحلام) هذا الكائن الرقيق المنكسر، كانت يتيمة لم تجد سندا لها سوى زوج يفرض سلطته ويبرهن عن فحولته ببطشه يجعلها تحت قيد تطويه سطوة الانكسار، وقد جاء ذلك في قول الكاتبة على لسان «أحلام» معاتبة زوجها الظالم لها حيث تقول: **(ولأني يتيمة فقد بدا لك أنه يحق لك فعل ما تريد بي تربيتي، تعليمي، ضربي، إهانتي، تعذيبي، وتشويهي)**[1].

صورت الكاتبة فوزية ألم وحسرة «أحلام» في عدم قدرتها على ردع ظالميها وإجبارها على السكوت لأنها مكسورة الجناحين ولا سند لها في هذه الحياة، فقد فقدت من كان يحميها ويدافع عنها وينتفض لمن يظلمها ويعتدي عليها، بحيث أنها تصور هاته المشاهد ببراعة وفن يمتد للقارئ ويشعره بمدى حزن «أحلام» وكبر حجم انكسارها وخيبات أملها كقولها: **(كان أكثر ما يؤلمني هو رؤية عجزي وشعوري بالظلم، فلقد كنت ورقة خضراء في شجرة مثمرة حتى سقطت في ذلك الخريف الذي توفي فيه جميع أفراد أسرتي)**[2]

ظلت «أحلام» تسعى إلى تحقيق التوازن والبحث في ملامح وتصرفات ومعاملة الرجل لها وتعويض فقد أهلها، فكانت تتمنى أن تجد حنان أمها فيه وسند وقوة أبيها في تشجيعاته لها ومواقفها معه خاصة في لحظات الضعف والانكسار التي تتعرض له من بطش الظروف والحياة، فأوردت ذلك في مقطع يصور حسرتها وخيبة أملها في إيجاد زوجها الذي كانت تتمنى أن يكون بتلك الصفات وبتلك العاطفة التي يستطيع من خلالها احتواءها وتعويض ألم اليتم ومرارته إلا أنها وجدت ذلك في شخص آخر اسمه ياسر وهو طبيبها النفسي الذي

[1] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 141.

[2] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 13.

تتقاسم معه مرارة اليتم في قولها **(ربما تنهمر دموعي وأركض للارتماء في حضنه كطفلة تشكو إلى أبيها سرقة إخوتها لألعابها أو ضرب أحد صبيان الحي لها، فهل سأشكو لياسر سرقة «أحمد» وجدتي لمستقبلي وضرب الزمان لي؟)**[1]

وقد صورت لنا الكاتبة حالة المرأة المتزوجة اليتيمة المقهورة التي لا تستطيع إتمام زواجها وتحمل قمع زوجها لها ولا هي تستطيع الانفصال عنه حفاظا على مشاعر أطفالها وتذوقهم ألم الفقد مثلها في قول «أحلام» مخاطبة زوجها الظالم: **(لقد تجرعت من اليتم ما يكفي، ولم يكن ليرضيني أن أحرم إبني من أبيه)**[2].

واجهت «أحلام» المرأة اليتيمة ألم ومعاناة وكسر وجرح وذرف للدموع ومشاهد حزن شديد، بسبب زوجها لأنها يتيمة ووحيدة فهي تعامل بالسلبية أكثر وأصبحت المرأة اليتيمة مشوهة مشبوهة السمعة ومنحرفة جاذبة للعار يتم رفضها في شرف الانتماء الاسري والانتماء الزوجي، فتتعرض للشتم والسب وقذف لوالديها في قبورهم الأمر الذي استشاط «أحلام» في عدة مواقف **(فتشتمني وتشتم أمي وأبي وجميع إخوتي)**[3].

لم تستطع «أحلام» نسيان أهلها ولا استطاعت تجاوز الحنان والأمن الذي كانت تشعر به معهم، لذا فدائما ما كانت تقارن وضعها بالوضع الذي كانت في كنفه وسط أهلها، ولعل أكثر المواقف التي تذكرها بهم حزنا عندما طلبت من زوجها «أحمد» مزاولة دراستها وتحقيق أحلامها في أن تصبح طبيبة نفسية، الذي قابله بالرفض وعدم القبول، حيث شعرت حينها بخيبة أمل كبيرة لم تستطع على إثرها تقبل الحياة التي تعيشها مع زوجها الظالم، حيث تقول: **(بدأت أتذكر دلالي في منزل والدي، تفضيله لي على جميع إخوتي، وتفاخره أمام الجميع بمدى نجاحي وتفوقي، فماذا سيكون موقفه حينها لو رآني بهذا الوضع؟ بالتأكيد**

[1] فوزية البدواوي، ذاكرة من حنين، ط2، مكتبة كنوز المعرفة، الأردن، 2021، ص 90.

[2] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 11

[3] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 10.

سيخيب أمله ورجاءه بي، ولكن .... إن كان والدي حيا هل سيكون وضعي هكذا حينها؟)[1].

ج. ثقافة الدونية والتفوق

تقوم الراوية في بدايتها على حكاية صراعات المرأة «أحلام» مع مشاكل الحياة تصاحبها ضغوط وخيبات من الجنس الذكوري وليد الثقافة العربية والمجتمعات المحلية التي تعتبر المرأة فيه مهمشة أقل قيمة من الرجل الذي يرادفه مفهوم القوة والبطش والجبروت، خاصة وأن «أحلام» هي امرأة يتيمة لا يوجد من يدافع عنها، إضافة إلى الحزن الذي سيطر على حياتها.

ومما لا شك فيه أن الثقافة العربية ترفض أن يكون للمرأة تعبيرا عن الحب لأن ذلك يعد عارا، كما أنه لا يمكنها الارتقاء لمكانة الرجل لتحارب من أجل الظفر بالحبيب، وقد ذكر بوشوشة أن سمة الحب قد شغلت حيزا هاما في الرواية النسائية العربية ولا تنحصر دائرة الحديث بتناولها هذا الموضوع بأسلوب تلميح بعيدا عن الجرأة نوعا ما، خاصة وأن الحديث عن الحب يعد كفضيحة أخلاقية في المجتمع العربي بشكل عام إلا أن الكاتبة لم تجد بدا من تناولها في نصوصها مما يقلل المنزلة الأثيرة التي يحظى بها في حياتها خاصة وهي تدركه رديفا للحرية[2].

أما الحب في حياة «أحلام» مستغانمي هو الأول في حياة المرأة بينما يلي أشياء كثيرة في حياة الرجل ولكون الحب ضروري في حياة المرأة فعبره تحقق ذاتها وتستشعر كينوناتها إلا أنه أصبح يشكل رهان خاسرا بالنسبة لبطلة الرواية النسائية، إذ غالبا ما تنتهي علاقات

[1] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 22-23.

[2] بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية، ط1، الجزائرية للطباعة والنشر، تونس 2005، ص 76.

الحب بطريق مسدود لأسباب عدة، وتقول «أحلام» مستغانمي في هذا الشأن (أن القضية محصن نسائية لا تعني الرجل إلا بدرجات متفاوتة من الأهمية)[1].

أما الحب في حياة "أحلام" بطلوة رواية "ذاكرة من حنين" فهو أمر مفقود مع زوجها "أحمد" وكأنها مرأة تمشي في طريق الأفول تفقد فيها معالم الأنوثة، ومواطن الحب والحنان ويتجسد هذا الشعور في قول «أحلام» **(أشعر أن أنوثتي بدأت تتلاشى)**[2]، بعد هذا الإهمال والتهميش من قبل زوجها تحتاج المرأة الجافية والفاقدة لمعاني الحب إثارة وإيقاظ إحساسها بأنها مرأة وزوجة وشريكة حياة، والأهم أنها أنثى تحتاج لرجل يحتويها بحبه وعاطفته لتجدد إحساسها بأنها على قيد الحياة وعلى قيد الحب والأمل، حيث تقول **(أحتاج لحب يوقد في براعم الصبا، ويعيد إلي ثقتي بنفسي ويحرر أنوثتي تلك التي تقبع في داخلي صامتة هي رغم غضبها، حتى ولو حاولت وأدها ستظل مختبئة في إحدى خلاياي، وإن لم تكن كلها، لم أعد أقرأ روايات الحب ولا أشاهد تلك الأفلام الرومنسية التي أدمنتها في فترة ما، لم أعد أريد سماع أي كلمة عن الحب، فهو ما عاد موجودا في البيت، كان يوجد منه القليل فقط في علاقتي مع إبني ياسر)**[3].

وقد ظهرت دونية المرأة في الرواية وتشبعت معالمها حينما أوردت «أحلام» مقطع **(يردد «أحمد» الحديث النساء ناقصات عقل ودين)** [4]، كانت هاته العبارة في الكثير من الأحيان رددها «أحمد» كطريقة لاستفزاز زوجته أحلام، تذكيرا منه لها بدونيتها وضعفها في كونها امرأة عاجزة، تعيش تحت سيطرته خاضعة له ملبية لاحتياجاته وهي تقول في ذلك **(أنا بالنسبة لأحمد اسم على ورقة وآلة للتفريخ وخادمة)**[5]، لذا فهو لا ينتظر منها الحديث أو

[1] أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، دار الأدب بيروت، فرنسا، 1998، ص94.

[2] فوزية البدواوي، ذاكرة من حنين، ط2، مكتبة كنوز المعرفة، الأردن، 2021، ص 161.

[3] فوزية بدواوي، ذاكرة من حنين، ط2، مكتبة كنوز المعرفة، الأردن، 2021، ص 161.

[4] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 154.

[5] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 161.

النقاش حيث تقول الكاتبة في بداية روايتها **(قد وجد في استعبادي انتصارا كما فعل «أحمد» معي)**[1]، حيث وضفت الكاتبة كلمة استعباد لترجع بنا إلى زمن العبيد الغابر الذي كانت فيه المرأة حينها مستعبدة مستضعفة خلقت فقط لتحقيق نزوات الرجل.

والمرأة في الثقافة الدونية إنما هي مجردة من أدنى الحقوق، لا تستطيع بذلك أن تحقق ذاتها ولا طموحاتها، بدءا من بيت الأهل إلى بيت الزوجية كما أشارت في مقطع الرواية **(كانت حريتي في منزلي معدومة، واستقلاليتي فيها مسلوبة، وخصوصيتي محرومة)** [2]، إلى الحياة الزوجية التي كانت تعيشها في ضل انعدام الحرية بالضرب والإهانة والتعذيب التي كان «أحمد» يمارسها في حق زوجته «أحلام» وادعائه الإسلام كما كانت تذكرة الكاتبة **(رجلا مريضا بالدين فهم الدين على غير شاكلته، وشكله بالهيئة التي تناسبه هو فقط)**[3]، في اعتقاد له أن الدين أنكر حرية المرأة وطالب باحتقارها لم يكن على علم بكل تفاسير الدين الإسلامي، كما أنه **(كان يردد أيضا أن أكثر أهل النار النساء)**[4]، كان «أحمد» يكرر كل ما يتعلق بالنساء بأسلوب ساخر وحقدا للنساء.

والدين الإسلامي بعيد كل البعد عن أي ظلم واستحقار للمرأة وهو الذي حررها من العبودية، وأعتق رقبتها من الوأد وغيرها من أشكال القمع والاستحقار، بل وأوصى في النساء خيرا، وجعل بينهن وبين الرجال مودة ورحمة واحترام، كما قد أوصى جل جلاله بالمرأة المستضعفة واليتيمة، وهذا ما ورد في كلام الله المنزل في سورة النساء وقال: **(وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء الَّلاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا) سورة النساء الآية: 127.**

[1] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 13-14.

[2] فوزية البدواوي، ذاكرة من حنين، ط2، مكتبة كنوز المعرفة، الأردن، 2021، ص 144.

[3] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 145.

[4] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 155.

وقد تلعب العوامل الخارجية دورا معتبرا في توليد وتعزيز الاضطرابات الانسانية النفسية، وتشير الرواية إلى العديد من الأسباب ولعل أهمها هو مشكلات الحياة خاصة الصدمات التي تعرضت إليها "أحلام"، إضافة إلى الصراعات والتوتر الذي تعيشه في البيئة الداخلية للأسرة يتسبب في إضعاف ميكانزمات الدفاع النفسي، وعدم القدرة على صدها ما أزم في نفس "أحلام" بتداعيات مرضها إلى ما يسمى بالعصاب وهو حالة مرضية تجعل حياة الشخص العادي أقل استقرارا وسعادة ويتمثل في المظهر الخارجي والتوترات النفسية، يعرفه لا "بلاج و البونتاليز" بأنها: "إصابة نفسية المنشأ تعبر عن الصراع النفسي يجد جذوره في شريط الطفل للشخص ويشكل تسوية بين الرغبة والدين والدفاع".[1]

أحلام كانت تابعة للتقاليد الاجتماعية الجائرة والصدمات النفسية إضافة إلى زواجها غير الموفق، كل هذه الأمور جعلت حالتها تتدهور أكثر، لكن تدخل الدكتور منح لها حياة جديدة وبفضل تفكيرها الابداعي الايجابي قد استطاعت التخلص من ندوب الماضي وتعلقاتها القديمة.

والمرأة تكوينها المميز لشخصيتها الرقيقة ولطبيعتها الخاصة بما لديها من الخبرات والمواقف الخاصة بها دون الرجل، فهي تختلف عنه في حالة الصحة وفي حالة المرض أيضا لديها مادة تتميز بها في كل مراحل النمو بداية من مرحلة الطفولة إلى سن البلوغ ثم الحمل والولادة والأمومة، وكل من هذه المراحل لديها خصائصها ومشكلاتها وهمومها من فترة إلى فترة التي قد تحدث لأي سبب الذي من شأنه أن يثقل كاهل المرأة، ويضيف إلى حياتها أعباء جسمية ونفسية فتجدها تعيش وسط صراعات مع نفسها وأهلها وزوجها خاصة ما إذا كان هذا الزوج غير متوافق معها في فلسفتهما للحياة، لذا يصبح كل منهما يعاني من الآثار السلبية للزواج غير الموفق، إلا أن المرأة هي الأكثر تأثرا منه، ولا يكون هناك مخرجا سوى الانفصال.

[1] غراهم دافي، علم النفس المرضي، ترجمة: فيصل الزراد ومحمد صبري، دار الفكر، الأردن، 2016، ص 61.

أحلام لم تستسلم للظلم والاستحقار وقيود المجتمع وما تعرضت له من أحمد، فقد كانت المرأة الشجاعة القوية التي تأبى الاحتقار والاهانة وقررت الانتفاضة عن طريق العبارة "**قد طفح الكيل**"[1]، هذه الجملة القصيرة العميقة في المعنى، التي قالتها «أحلام» كانت بمثابة نقطة تحول وبداية لمرحلة جديدة لها، لملمت فيها جميع أجزاء حطامها المبعثر، لتستعيد فيها كرامتها المسلوبة، وتجمع ما تبقى من روحها المنكسرة، وقد بحثت في سبل التخلص من كل تلك القيود ووجدت بداية الصراخ كوسيلة لطرد أوجاعها وآلامها حيث قالت: **(لقد وجدت في الصراخ بعض الشي من الراحة)**[2]، واعتبرت «أحلام» الصراخ كميكانيزم للوصول إلى الراحة بعد مشوار طويل من المعانات الذي أرهق كاهلها، وظهرت محاولتها في التفوق على الظلم والقهر الذي كانت تعيشه، ثم وجدت سبيلا آخر تمثل في القراءة والتخلي عن البحث في كتب علم النفس في محاولة منها لفهم زوجها أحمد، حيث أوردت **(كتب علم النفس التي كنت أقرءها لم تنفع مع «أحمد» الآن استبدلها بكتب عن الصبر)**[3]، لأن كل محاولاتها التي قدمتها لتحتوي زوجها «أحمد» كانت بائسة وفاشلة لم تنفع فقررت اللجوء لله بالصبر والتغلب على اليأس الذي حل بها.

وجدت «أحلام» العلاج لحالتها التي يزدريها الحزن والكآبة والكبت الذي أخرس صوتها وقمعها في التعبير عن ذاتها من خلال النصيحة التي قدمها لها الطبيب النفسي الذي كانت تتعالج عنده حيث قالت: **(اقترح علي الطبيب النفسي أن أكتب وبدأت من حينها رحلتي مع الكتابة ومنذ يومها وأنا أكتب وأكتب وأكتب ومازلت أكتب)**[4]، تلك النصيحة أخذتها قاعدة في حياتها كلما كانت سعيدة أو كانت متألمة وجدت في كتاباتها تنفيسا عن روحها وتعبيرا عن مشاعرها، وقد قالت في موضع آخر **(عندما أرغب بالتحرر أفتح ربطة الشعر**

[1] فوزية البدواوي، ذاكرة من حنين، ط2، مكتبة كنوز المعرفة، الأردن، 2021، ص 11.

[2] فوزية البدواوي، ذاكرة من حنين، ط2، مكتبة كنوز المعرفة، الأردن، 2021، ص 25.

[3] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 159.

[4] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 25.

خاصتي، وأحضر كوب القهوة وأصعد للسطح حتى أملأ رئتي هواء ودفتري الصغير حبرا، هذه الممارسات على الرغم من بساطتها إلا أني أشعر عند فعلها أني أطير عاليا وإن لم أفارق مكاني)[1]، فالكتابة لم تعد فقط علاجا لأحلام إنما أصبحت مصدر سعادة لها كذلك.

ويعد التعليم الخطوة الأهم للوصول إلى التحرر الفكري والثقافي الانسان عموما وللمرأة خصوصا باعتبارها نواة المجتمعة ومربية النشء الجديد، فأحلام كانت بطلة مثقفة حاربت من أجل إتمام تعليمها، رغم كل ما تعرضت له من هموم وأحداث حزينة ومؤلمة، وقد استطاعت تخطي كل مرة به كلما مرت به بفضل في فطنتها واجابتها المرأة المثقفة كنز فهي تنفع نفسها وغيرها كما أنها امرأة قوية وقد استطاعت التغلب على السيطرة الذكورية.

أكملت «أحلام» تعليمها رغم كل الصعاب وأصبحت امرأة قوية طموحة وناجحة إذ أنها أصبحت مرجعا يعود الطبيب ياسر إليه في تشخيص الحالات المرضية قصد علاجها، حيث ذكرت **(الطبيب المصري ياسر كان يعتمد على ملاحظاتي كثيرا لتشخيص المرضى، وتبعا لذلك يبدأ بوصف الدواء خاصة أنه يثق بي كثيرا، وقد سبق وأن ساعدته في دراسته الجامعية، تلك التي ارتقى بها درجات في سلمه التعليمي)**[2].

[1] فوزية البدواوي، المرجع نفسه، ص 123.

[2] فوزية البدواوي، ذاكرة من حنين، ط2، مكتبة كنوز المعرفة، الأردن، 2021، ص 26.

الفصل الثاني

أشكال القمع في رواية

"ذاكرة من حنين"

المطلب الأول: النفسية المحطمة

كان من الضروري أن يجسد الروائيون في أعمالهم أن المرأة هي نصف المجتمع الإنساني، وأن يؤمنوا أنها أكثر كائن بشري يمكن للكاتب أن يستغله بطريقة جيدة وموفقة في جميع الأقطار العربية. ليعكس من خلاله كل تاريخ مجتمعه ونقائضه، مما يقوي ويوضح دعوته للإصلاح بين مختلف فئات الشعب. وذلك لأن المرأة ذات شخصية رقيقة وشديدة الشفافية يمكن أن تعكس كل سلبيات وإيجابيات المجتمع الذي توجد فيه.

لقد كانت المرأة ذات شأن ومكانة في الثقافة العربية، ورغم الاهتمام الكبير الذي حظيت به عبر العصور، إلا أنها ستبقى موضوعا مفتوحا للكتابة والإبداع وميدانا واسعا لممارسة الأعراف والتقاليد والشرائع. فعذابات المرأة ومعاناتها كثيرة لكنها تحمل عنوانا واحدا تقدمه الروائيات، ظلم، مأساة، قسوة، قيود، نبذ وعنف، لا شيء تغير في النظرة الدونية للمرأة منذ القدم سوى تنوع وسائل القمع، كما تقول "فضيلة الفاروق" فهي منذ القدم ولحظة خروجها للحياة تلاقي الرفض والنظرة الدونية، إذ تعتبر مصدر للهم والشؤم والعار على العائلة. (وإذا بُشِّرَ أَحَدُهُم بالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُه مُسْوَدّا وَهُو كَظِيم)[1].

عكس ما إذا كان المولود ذكرا فتقام له الأفراح، بينما توأد وهي صبية وتباع امرأة وتشترى جارية تسخر للخدمة والمتعة، ترغم على الزواج دون أخذ رأيها وتستبدل بغيرها دون علمها (فتركت في الرف بلا قيمة).[2]

ولكون المرأة ضعيفة بفطرتها فهي الأكثر تأثرا بالمشاكل التي يعيشها المجتمع العربي، فهي في الغالب ما تخضع للعادات والتقاليد التي يفرضها المجتمع، وتكون مقيدة دائما عكس الرجل، الذي يفرض سيطرته عليها، كما نجدها مكبلة لخدمة البيت فقط ولا أحد يبالي

[1] سورة النحل، الآية 58.

[2] سعاد طويل، الروائية النسائية العربية وخطاب الذات، مجلة المخبرن، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد السادس، 2010، ص02.

بتعلمها أو الوصول إلى ما تريده في هذه الحياة، مما يحطم نفسيتها ويجعلها حزينة ومستاءة لأن أبسط أحلامها مستحيلة وبعيدة في نظر المجتمع.

تُجسد الكاتبة "فوزية البدواوي " في روايتها "ذاكرة من حنين" صورة المرة الحزينة وذات النفسية المحطمة في شخصية البطلة أحلام التي يتغلب عليها طابع الحزن واليأس وكذلك التشاؤم، والتي تمر بحالة نفسية تؤدي بيها للكآبة رغم صغر سنها، ويعود ذلك لمعاناتها بعد فقدها لعائلتها والمعاملة القاسية لها من طرف زوجها، حيث عبرت عن كل هذا في الرواية قائلة **(عانيت في شبابي كثيرا، فقدت الأم والأب، وقد آلامني فقدهم كثيرا لتأتي أنت بعد ذلك تتحدث عنهما بكل سوء تشوه صورتهم النقية أمام ابني).**[1]

تعيش أحلام حالة من الحزن واليأس وتشعر أنها فقدت نفسها بفقدها لعائلتها، نظرا لتشبيه نفسها بالزنبرك الذي إذا اشتد بقوة أكبر من القوة التي يستطيع تحملها يختفي تموجه الطبيعي ويبقى مشوها في استطالة غير معتادة ولا يمكن لأي شيء إعادته الى تموجه الطبيعي. **(أشعر بأني فقدت تموجي في بحيرة العمر فليس هناك أي حجر يمكن له أن يعيد هذه الموجات الصغيرة الممتعة الى بحيرة عمري، وليس هناك أي قوة يمكن لها أن تعيد الزنبرك إلى حالة الانتظام والعلاقة الطردية التي كانت تربطه بالمسافة).**[2]

طغى الحزن على حياة أحلام مما أدى بها الى الدخول في حالة اكتئاب حاد جعلها تعيش في العزلة. **(فبعد وفاة عائلتي أصبت باكتئاب حاد اعتزلت على إثره الأكل والشرب، اعتزلت العالم بأكمله. رأيت مدى سوداوية العالم وأدركت مدى ضبابيته. لم يكن الأمر اختياري، كان شيئا أعظم من أن أتحمله. شعرت أن الزمن قد سرق مني أجمل شيء في الوجود ...عائلتي).**[3]

---

[1] فوزية البدواوي، ذاكرة من حنين، مكتبة كنوز المعرفة، طبعة 02، سلطنة عمان، 2021، ص11.

[2] المصدر نفسه، ص11.

[3] الرواية، ص16.

تحطمت نفسية أحلام وأصبحت حالتها حزينة بعد حرمانها من إكمال دراستها وتحطيم أحلامها وذلك لرفض زوجها ووقوفه أمام طموحها في تحقيق حلمها لدخول تخصص علم النفس في كلية التربية بجامعة السلطان قابوس فتصف حالها التي فيها مقارنة بما كانت عليه في الماضي متحسرة على ذلك. **(أحلام ...التي عجزت الطالبات عن منافستها تصارع الذل في بيت زوجها الظالم. أحلام التي لم تكن الأحلام تتسع لها ولطموحاتها لم يعد لديها هم سوى الحصول على شهادة الثانوية الآن. أحلامي لم تكن سوى مرآة أرتني ما رسمت بكل جمال، لكنها تكسرت فتشوهت معها نفسي وجميع أحلامي).**[1]

كانت البطلة أحلام تشعر أن روحها رخيسة وأن رغبتها كانت تحت رحمة الآخر، حزينة لأنها تشعر أن حياتها معطلة من أجل رجل يعيش حياته في الطرف الآخر كما يريد، حزينة لأن المرأة وصفها المجتمع بناقصة عقل ودين. **(كانت حريتي في منزلي معدومة، واستقلاليتي فيه مسلوبة، وخصوصيتي فيه محرومة. أن تتزوج من أحمد لا يعني أن تشاركه السرير فقط، بل وجميع شؤونك الخاصة. أفكارك وطموحاتك وآرائك حتى يقتلها جميعا أمامك. ثم بعدها ربما تحوزي على شهادة الرضا منه بطاعتك العمياء للرجل).**[2]

لكن بالرغم من حالة اليأس والألم التي كانت تعاني منها أحلام إلا أنها كانت تخفي حزنها ومشاعرها، وتكتم ما بداخلها من الهم والألم والقهر. **(دسست رأسي في حجري حبست دموعي كثيرا وها قد حان موعد إطلاق سراحها. بدأت أعتصر رأسي على الأفكار المخيفة والهموم المكبوتة تسيل كدموع ساخنة في تلك الليلة الباردة على خدي. استرجاع الماضي امر محزن، مبك، مؤلم وخانق كذلك.**

ولكن ... كان لابد من البكاء، وليتكم تعلمون كيف يمكن للبكاء الصامت أن يخنق حنجرتك ويكبت على أضلعك أكثر فأكثر)،[3] لذلك فإن تلك السيطرة والحرمان من أبسط

[1] الرواية، ص22/21.

[2] الرواية، ص144.

[3] الرواية، ص144.

الأشياء جعلها تكبت كل ما تشعر به السبب الذي جعلها تعيش في حالة حزن وتعاسة وضجر من هذه الحياة .**(وفي جميع الأحوال لا يؤدي الكبت والتناقضات التي يفرضها المجتمع على البنت إلا الى التعاسة العامة التي تشعر بها النساء ،ويتوهمن أنهن سعيدات لكن المرأة منهن لا تصمد طويلا أمام الأسئلة التي تجعلها تريد التفكير في حياتها وفي سعادتها السطحية)**[1]، فكبت المرأة لمشاعرها دائما ما يؤدي الى تعاستها.

كانت أحلام مشبعة بالأحزان والمعانات لدرجة أنها كانت تتمنى فقدان ذاكرتها أو مسحها وعدم تذكر أي شيء من معاناتها لأنها أرهقت نفسها في التفكير في الماضي وأوجاعه. **(...ليتني قد فقدتها في ذاك الحين؛ حتى لا أتذكر أي شيء من أوجاعي. ليتني أقتطع ذاك الفصل من كتاب حياتي أو أقوم بعمل غسيل للمخ رغم معرفتي التامة بالمشاكل النفسية والأهداف الانتحارية التي يقع فيها من يقوم بهذه العملية.**

ليتني أفرش مخي كما أفرش أسناني كل ليلة قبل أن أضع رأسي على الوسادة.)[2].

كما أنها كانت عبارة عن كتلة من الكآبة والحزن والألم لأنه لم يكتب لها أن تكون ضمن محيط وعائلة ومجتمع يشجعها على تحقيق طموحاتها، كما أنها ذاقت ألم الفقد بأنواعه فقد الأم والأب، فقد الأخ والأخت، وفي النهاية فقدت من كانت تظن أنه أخرجها من دوامة حزنها وأضاء عليها عتمتها وعوضها عن فراق عائلتها، **(وها أنا أسقط من جديد من فوق الغصن السادس الذي قد التقطني بعدما تهاوت روحي بعد فقد عائلتي. لا الجرم جرمك يا ياسر ولا هو جرم الزمان. فمن لم يتعلم من الضربة الأولى فهو يستحق الثانية! فأنا أستحق أن أدفع ضريبة مشاعري المبالغ فيها. أستحق ذلك يا ياسر. استحق ذلك يا طبيبي!.)**.[3]

[1] نوال السعداوي، المرأة والصراع النفسي، دار مطابع المستقبل بالفجالة، ط3، القاهرة، 1993، ص105.

[2] الرواية، ص17.

[3] الرواية، ص50.

فالروائية هنا تؤرخ معانات أحلام من اليتم والفقد ومن حجم الخيبة التي تجرعتها بعد فقدها لمن ظنت أنه سندها في هذه الحياة بعد معاناتها، ولكنه زاد من حدة ألمها وقهرها بعد اختفائه المفاجئ.

ونظرا للمعانات التي تعانيها أحلام من الإهمال والتمييز، نراها لا تحتمل هذه المظالم وتعي ما يحدث حولها، وهذا الوعي أدى بها الى خلق أزمة نفسية، مما جعلها تعاني من القلق والاضطراب، وما يوصل إلى فقدان ثقتها بنفسها، ولنا في ذلك مثال واضح يقول **(كان ما أزعجني هو نفسي البريئة تلك التي خضعت لدور الضحية، وسلمت حياتها للمجرم. أخضعت مشاعرها بل وتفكيرها له. تبا لك يا حسن، وتبا لذلك الحب الذي خذلني. تبا لأفكاري الحمقى ومشاعري التافهة. تبا للأيام التي ظننت أني قد شفيت فيها. تبا لرجال هذا الكوكب. تبا لك ولفشلك.)**.[1]

ويمكن إضافة مثال يزيد من حجم الأسى الذي تعانيه البطلة أحلام بسبب تشتت العلاقة بينها وبين زوجها أحمد إذ يتضح ذلك في هذا المثال **(ذهبت مع ابني ياسر أحمل على عاتقي خيبات تركها ذاك الذي ظننت لوهلة أنه سند لي ولابني، ذاك الذي كان في نظر جدتي أنه ظهر لي وعون لها)**.[2]

ومن هنا نتصور حجم النزاع القائم بين المرأة والرجل وما نجم عنه من معانات المرأة وحدها وما يترتب عنه من مشاكل نفسية.

المطلب الثاني: المرأة الخاضعة

تعد قضية المرأة من الموضوعات الرئيسية التي اهتم بها كثير من الكتاب سواء في الفكر القديم أو الحديث، وهذا الأمر ليس بغريب فهي تحتل دورا هاما في المجتمع، وعلى الرغم من ذلك فقد تعرضت عبر التاريخ للاضطهاد والتحيز في العديد من حقوقها فلم يعترف بدورها الكبير والفعال في بناء المجتمع والأسرة.

---

[1] الرواية، ص194/195.

[2] الرواية، ص193.

لم يكن للمرأة في العصر الجاهلي مكانة جيدة، فقد حرمت من أبسط حقوقها، وتعرضت لأنواع مختلفة من الظلم والانتهاكات ولم يكتفوا فقط بحرمانها من حقوقها بل تجاوزوا ذلك إلى حرمانها من حياتها، وهذا ما نلاحظه في ظاهرة وأد البنات، حيث كرهوا البنات واعتبروهن لعنة وشرا لهم لذلك لم تكن المرأة مرغوبة في ذلك الزمن.

وعليه فإن المرأة لم تكن في وضع جيد وحريتها مقيدة، فهي تعتبر مجرد آلة يتحكم فيها الرجل كما يريد وتكرس حياتها لخدمته والخضوع له وطاعته فقط بعيدا عن مشاعرها وأحاسيسها.

لكن لا يمكننا الإغفال عن أهمية المرأة في المجتمع، فهي شريك حقيقي يساهم في بناء المجتمع وإثرائه. فهي جزء لا يتجزأ منه ومربية للأجيال الناشئة، لكن لسوء الحظ فالمجتمع البشري ينظر إليها من وجهات نظر مختلفة ويتعامل معها بطرق مختلفة.

من الواقع الأليم أنها وضعت للخدمة والاستغلال البشري، ونسي المجتمع ما يتوجب عليه من مسؤوليات نحو هذا الجنس اللطيف.

وهذا ما أرادت توضيحه الروائية "فوزية البدواوي "في الرواية "ذاكرة من حنين "على لسان البطلة أحلام، لكن للأسف تبقى المرأة دائما في نظر المجتمع الجانب الهامشي، مما أدى بها للاستسلام والخضوع للأمر الواقع، فهي تستسلم للأوضاع سواء أحبتها أو كرهتها فتصبح خانقة لنفسها وكاتمة لعواطفها ولا يحق لها المطالبة بحقوقها، وهذا ما حدث مع أحلام بعد محاولاتها في علاقة الحب الفاشلة التي كانت من طرف واحد، لم يعد بيدها حيلة سوى أن تلبي طلب جدتها بالزواج من رجل تقليدي لا تعرف عنه شيء سوى اسمه وأنه يكبرها بثمانية وعشرين عاما. **(هززت رأسي بالموافقة، وخرجت من غرفتها. وددت لو أركض هروبا من هذه الفكرة التي لم أستطع تقبلها. من هذا الشبح المسمى أحمد الذي**

بدأ يطاردني من يومها. من هذه الحياة التي سأحياها، بل من هذا الحكم القاسي الذي سيحكم عليا بإعدام السعادة).[1]

فكانت أحلام مضطرة الى الخضوع لقرار جدتها والموافقة على هذا الزواج من أجل إرضائها والمحافظة على صحتها فهي الوحيدة التي بقيت لها من عائلتها ولا تريد خسارتها هي الأخرى. فقد كانت الجدة تظن أن أحمد سيكون سندا وعونا لها ولحفيدتها أحلام.

ويبدو أن الرجل في الخطاب العربي **(يبقى سجين التعامل اللاهوتي مع المرأة باعتبارها كائنا يأتي في المرتبة الثانية من حيث الوجود الانساني بوصفها عنصرا اختارته الطبيعة للقيام بوظيفة إعادة الانتاج وحسب)**[2]، فوجود المرأة حدد قديما في عملية الانجاب والحفاظ على النسل البشري، تأتي بعد الرجل دائما في المرتبة الثانية. لذلك يعتبر الرجل هو الأصل وهي الفرع، وهذا بالرجوع الى الطبيعة التي هي السبب في وجودها. وهكذا كانت نظرة أحمد لزوجته أحلام. **(أنا بالنسبة لأحمد اسم على ورقة وآلة للتفريخ وخادمة. هذه هي أعمالي. أشعر أن أنوثتي بدأت بالتلاشي).**[3]

فالمرأة في نظر زوجها آلة تقوم على خدمته وتأمين راحته وراحة أولاده فيرى "أحمد خليل" في كتابه "المرأة العربية" (وسادت مفاهيم قبلية حول دور المرأة انطلاقا من الانقسام الاجتماعي ذاته بوصف المرأة أنثى الرجل، طعامه «امرأته» وبوصف مناكح الرجال. علاقة بيولوجية، حاجة تابعة. وإن كانت حاجة متبادلة في جوهرها)[4]، فكان المجتمع يرى المرأة متدنية فجعل أهميتها محصورة في حدود جسمها ومهامها البيولوجية، وبسبب هذه الهيمنة، المرأة لم تحصل على فرصة لتجرب وتفكر انطلاقا من ذاتها.

---

[1] الرواية، ص74.

[2] ينظر: محمد نور الدين افايه، الهوية والاختلاف، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1988، ص07.

[3] الرواية، ص161.

[4] أحمد خليل، المرأة العربية وقضايا التغير، بحث اجتماعي في تاريخ القصر النسائي، دار الطلبة، بيروت، ط1، 1972م، ص9.

وفي دراستنا لرواية "ذاكرة من حنين "نرى أن البطلة أحلام تقف مرة أخرى أمام تسلط زوجها الذي لم يف بوعوده لها فتصطدم مرة أخرى بواقعها على حد قولها :**(أتذكر يا أحمد وعودك لي بأن تعوضني عن العائلة؟**

أتذكر حينها رجاءك بالموافقة على الزواج منك؟ الزواج من رجل يكبرني بثمانية وعشرين عاما. قلت لي حينها بأن الرسو صل الله عليه وسلم قد تزوج من عائشة – رضي الله عنها– وهو يكبرها بأعوام كثيرة ،ولم أفكر حينها بأنه رسول، وأنت لا شيء أمامه .)[1]، فكانت أحلامها وطموحاتها آخر همه.

ونجد الروائية "فوزية البدواوي" تجسد صورة المرأة الخاضعة لزوجها في قولها على لسان البطلة أحلام، **(لكني بت أعاني نتاج مواجهاتي الدائمة والمستمرة لأحمد، لهذا قررت أن أخضع لأحمد في الأيام الأخيرة)**[2]، فهنا يظهر لنا خضوع واستسلام أحلام لزوجها الظالم الذي أخذ جميع حقوقها وحرمها من حريتها، وكسر أحلامها وآمالها ،وأكثر ما كان يؤلمها هو شعورها بالعجز وعدم القدرة على المواجهة، **(كان أكثر ما يؤلمني هو رؤية عجزي وشعوري بالظلم.)**.[3]

تعاني أحلام من الذل والمهانة من زوجها أحمد في أحاسيسها ومشاعرها، لكنها لا تستطيع التخلي عنه رغم الظلم والمعانات لأنها لا تملك ملجأ غير بيتها تلجأ اليه ولأنه لم يبقى لها أحد سواه ،فكانت دائما ما تغفر له في كل مرة وتضع له الاعذار ،ولم تتوقف عن محاولة حبه يوما ويتجلى هذا بوضوح في قولها **(أكذب عليكم لو قلت لكم بأن قلبي توقف عن محاولة حبه ولو ليوم واحد ،لأنه لم يبقى لي أحد سواه، ولهذا كنت أضع الاعذار له. أرتبها، أصففها وأنمقها حتى يتقبلها عقلي الباطن على الأقل، لكن حتى الكذب على العقل الباطن أصبع مستحيلا.)**[4]، وبالرغم من هذه المحاولات إلا أن معاناتها

[1] الرواية، ص22.

[2] الرواية، ص183.

[3] الرواية، ص13.

[4] الرواية، ص169.

لم تتوقف وازدادت جراء الحرمان العاطفي وفقدانها للحب، ولا يكتفي أحمد زوج أحلام بقهرها وحرمانها من العاطفة والحب ومن سلبها حريتها وإنما تجاوز ذلك الى استيلاب ابنها وحرمانها منه والهروب به بعيدا.

فالكاتبة توضح معانات أحلام من أشكال الحرمان بما فيه من احتقار وتمييز وانعدام للحب والعاطفة في بيت زوجها واستمرارية ذلك مما أدى بها إلى الخضوع والاستسلام لأمر الواقع.

المطلب الثالث: المرأة المعنفة

ظاهرة العنف ضد المرأة هي ظاهرة اجتماعية منتشرة بكثرة اليوم، والتي دائما ماتعاني منها المرأة داخل أو خارج الأسرة ،أي في المجتمع، فهي تعتبر ظاهرة عالمية وحتى في الدول المتطورة وتشمل جميع الفئات من النساء سواء متعلمة أو غير متعلمة ،فالمرأة تتعرض للضرب والقتل والاغتصاب وحتى الحرق في المجتمعات العربية أو الغربية، وهذا كله يعتبر عنف جسدي إلى جانب العنف المعنوي الذي يتمثل في الاساءة باللفظ والكلام وقمع الذات كالحرمان والضغط والاجبار والاهانة والقلق والخداع ،ويمثل القهر شكلا من أشكال العنف، وهذا القهر يعيق حرية الإنسان، ويسلب إرادته :(إن الإنسان المتحرر من العادات والتقاليد الجائرة ،هو الذي يبني وعيه بنفسه أما إذا كان ركن الى الوجود الاجتماعي متنازلا عن إنسانيته ،صار واحدا من قطيع المجتمع ،مجرد شيء لا يملك إرادته ،وذاته.)[1]

والرواية كجنس أدبي عبرت عن العنف المادي والمعنوي الذي تعرضت له المرأة في الواقع، الذي يعتبر أزمة فعلية، وانتهاك للجسد، والتعامل مع المرأة على أنها جسد بلا روح لا لشيء سوى لأنها مخلوق قاصر، ولقد تجلى العنف الجسدي في رواية "ذاكرة من حنين" ل "فوزية البدواوي "، حيث تناولته الروائية بكثرة، وذلك لتوضيح بعض المفاهيم والنقاط، التي جعلت المرأة شيء قابل للكسر، ومخلوق ضعيف ومضطهد، ويظهر ذلك في قولها

[1] حبيبلة، الرواية والعنف، ص198.

(وأخذت أبكي بحرقة، سنوات طويلة قد مرت لم أشعر بها بمثل هذا الاحتواء. بكيت أحزاني. آلامي. شوقي. أحلامي. ظلم أحمد، والمجتمع وخيانة حسن. وددت لو أبكي ياسر القديم. وددت لو بكيت العالم أجمع حتى اتحرر منه ومن قيوده).[1]

فالعنف ضد المرأة من القضايا التي عالجتها هذه الرواية، إذ تضمنت أشكالا مختلفة من العنف والقهر الذي تعانيه المرأة ويبدو أن الكاتبة جعلت على عاتقها مسؤولية الكشف عن كل الوقائع المأساوية والأفعال الوحشية التي تعاني منها المرأة بتعرضها للعنف، مما يسبب لها عاهات نفسية وجسدية طول حياتها.

اذ نلتمس من خلال هذا المقطع أن البطلة أحلام التي تعرضت للعنف من طرف زوجها أحمد جعلها مكسورة القلب بالإضافة الى الآثار التي خلفها هذا العنف الجسدي من ندبات وحروق وكسور بالإضافة الى الآثار النفسية، **(وهناك سن مفقودة تترك ندبة سوداء عند ابتسامتي، إثر لطمة صدرت منك، وهناك اصبع مكسور قد برأ، ولكن قلبي لم يبرأ منك.)**[2]

وتبرز الروائية شدة القهر والعنف الذي تعرضت له أحلام من قبل زوجها الظالم الذي كان دائما يضربها بلا رحمة ليعاقبها على أخطائها، **(وبدأ يضربني بعصا خيزران التي كان**

يُوهم الناس عند حملها بالرزانة والوقار، وكيف تكون كذلك يا أحمد؟ وأنا لم أجد منك سوى السب والضرب.)[3]

وتحضر عبارة **(لم يكن هناك فرق بين العنف الذي كان يمارسه أحمد ضدي وبين ذاك العنف الذي كان يمارس في سجون غوانتانامو)**[4] لتكمل صورة العنف الذي تعانيه أحلام من زوجها وتبرز معاناتها من الظلم والقهر...

---

[1] الرواية، ص185.

[2] الرواية، ص192.

[3] الرواية، ص18.

[4] الرواية، ص139.

فطبيعة العلاقة التي تربط الرجل بالمرأة ها زالت تحكمها علاقات العبودية والتسلط التي تأسست تاريخيا ولا تزال تعاني منها المرأة وهذا ما يتضح لنا من خلال هذا المقطع على لسان أحلام **(أحمد لم يتزوجني لأكون زوجتا وأما لأبنائه. أحمد أراد أن يشتريني ليستعبدني .)**[1]

فأحلام كانت تعاني من ظلم وقهر زوجها لها وذلك بممارسة الضرب والعنف والاستعباد، وتزيد النظرة الدونية لأحلام أكثر قساوة في هذا المثال، **(فأرد عليه: «استوصوا بالنساء خيرا» و«رفقا بالقوارير». يسخر مني ويقول: أنت لست قارورة، أنت أشبه بلوح معدني صدئ.)**[2]، كان هذا التشبيه مؤلما لأحلام رغم اعترافها أنه قد يكون صحيحا لأنها حقا تؤلمها ملامحها التي تشوهت وعمرها الذي سُرق، وكرامتها التي كسرت وثقتها التي اهتزت وذلك بسبب العنف الذي تعرضت له من طرف أحمد.

قدمت الروائية صورة عن المرأة المقهورة من خلال سردها لمجموعة من الأحداث التي مرت بها البطلة أحلام والتي تمثلت في مجموعة من مظاهر العنف التي تعرضت لها من أول يوم لها من زواجها، فقد كانت تلك الأحداث أشبه بالصفعة، لأنه لم يعد الرجل الذي كان قبل زواجها منه. **(وفي أول ليلة لي معك تلقيت منك الدرس الأول في طاعة الزوج، بل الصفعة الأولى، وفي الليلة الثانية حرمت من العشاء لأني وضعت به زيتا كثيرا، وفي اليوم الثالث كان كي الملابس رديئا فكويت ذراعي.)**[3]، ففي الأيام العشرة الأولى من زواجها تعرضت لشتى أنواع العنف والقهر والظلم.

وتواصل الكاتبة سرد مظاهر العنف التي تعانيها أحلام، فعندما استيقظت ولم تجد ابنها ياسر الذي يعاني من أعراض غريبة في البيت فحاولت البحث عنه وتبين في الأخير أنه كان مع والده أحمد أخذه لشيخ ليقرأ عليه بغرض شفائه، وبعد عودتهما رأت أحلام خيطا

[1] الرواية، ص151.

[2] الرواية، ص153.

[3] الرواية، ص141.

صوفيا على عنق ياسر به ورقة مطوية مكتوب عليها ركضت بها للمطبخ لتحرقها فكان من زوجها أحمد إلا معاقبتها بحرق أصابعها. **(لقد فهمت الآن من يكون شيخكم، لم أبال بأحد، ركضت بالقصاصة للمطبخ أتلفتها في ذات الحين، حرقتها. فأحرق أحمد أصابعي معها.)**[1].

ولم تجد من يكون عونا لها إلا جارتها الطيبة أم محمد بعدما ساعدتها على تعقيم حروقها وتضميدها، لكنها لم تصب حين أخبرت زوجها أبو محمد بما حدث وترجته ليتدخل في الأمر مما زاد الأمر سوءا، ولم يكن تدخله في صالح أحلام مما زاد من غضب أحمد ليبدأ في ضرب وتعنيف أحلام معاقبة لها لعدم حفظ أسرار بيتها، فتقول أحلام **(لكن تدخل أبو محمد لم يكن في صالحي مطلقا، لقد كان هذا عذرا آخر لأحمد حتى ينهال ضربه عليا كالسيل، لا بل كالحمم البركانية؛ لأن ماء السيل بارد نظيف، وهو في أغلب الأحيان نعمة، ولكن ضربه لم يكن كذلك أبدا.)**[2].

فالعنف ضد المرأة هو "أي فعل عنيف فيه عصبية الجنس ويرتب عليه، أي رجع أن يترتب عليه أذى أو معانات للمرأة، سواء من الناحية الجسدية، أو الجنسية، أو النفسية، بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة". وهذا تعريف "إعلان القضاء ضد المرأة " لعام 1993 الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة[3].

هذا ما أرادت الروائية " فوزية البدواوي" تجسيده من خلال روايتها "ذاكرة من حنين" لتصف لنا ما تعرضت له بطلة الرواية أحلام من الفعل العنيف والعصبية والظلم من زوجها أحمد، وما ترتب عليه من الأذى والمعاناة نفسيا وجسديا، فتقول **(تخاصمني، فتحكم على وتطبق العقوبة بنفسك، وربما أدنتني بلا دليل ولا شهود، فمن أعطاك الحق لتفعل هذا؟**

---

[1] الرواية، ص148.

[2] الرواية، ص153.

[3] مرفت تلاوي: العنف ضد المرأة، 15 محمد محافظ متفرع من شارع الثورة، المهندسين، الجيزة، مصر، ط1، 2012م، ص11.

ومن أباح لك ضربي. تشويه ملامحي، وتشويه أجمل صورة قد رسمتها عنك؟)[1]. كل هذا العنف أدى بأحلام لحالة من الرعب والخوف. فالرجل يمارس العنف بصفته يملك السلطة العليا على الأسرة والأولوية على المرأة، لما يجعله يبدع في تعنيفها وقهرها، وهذا ما نجده في هذه الرواية، أشكال متعددة ومتنوعة من العنف الأسري المادي والمعنوي ضد المرأة، وهذا ما حدث مع الشخصية "أحلام " التي تعرضت للعنف من قبل زوجها الظالم.

جسدت " فوزية البدواوي " المزيد من أشكال العنف في بعض المقاطع من الرواية من خلال حديثها عن الضرب والتعنيف الذي تعرضت له بطلة الرواية، فتقول أحلام في هذا المقطع بعد حوار دار بينها وبين زوجها: **(كانت الإجابة هي عبارة عن لطمة قاسية. قال لي بعدها: عندما آمرك بشيء في المرة المقبلة نفذيه بدون نقاش، وما كان ينقصني إلا هذا.)**[2]، فيوضح لنا هذا المقطع شكل من أشكال العنف الذي تعرضت له أحلام والذي يظهر في تلك اللطمة القاسية التي أخذتها من زوجها أحمد لعدم امتثالها لأمره لها بالسكوت

كما تظهر شخصية اخرى في رواية " ذاكرة من حنين " ظهورا طفيف لتجسد دور المرأة المعنفة، والتي هيا شخصية المرأة خديجة، الزوجة الأولى لأحمد، هي الأخرى شخصية ضعيفة خاضعة لزوجها وهي الأخرى تعرضت لأزمة نفسية، ودخلت على أثرها عيادة الطب النفسي جراء معاملة أحمد السيئة لها وتعرضها للضرب والتعنيف من قبله، فتقول أحلام لتوضح معاناتها في هذا المقطع: **(كان أحمد يزور زوجته في عيادة الطب النفسي. زوجته خديجة التي كانت عاقرا، ولم اكتشف حينها أن سبب دخولها المستشفى لم يكن بسبب عقمها ويأسها من الحمل. بل كان بسبب معاملة أحمد لها كالخادمة، واستفزازها بطريقة لا يعلم بها سوى الله.)**[3]

---

[1] الرواية، ص11.

[2] الرواية، ص20.

[3] الرواية، ص23.

وهناك نوع آخر من أنواع العنف ضد المرأة، إلا وهو العنف المعنوي الذي تجلى في العديد من مقاطع الرواية، والذي تظهر من خلاله الحالات المرعبة التي عاشتها أحلام منذ طفولتها، حين تعرضت عائلتها لحادث مؤلم أودى بحياتهم جميعا، مما جعلها تتعرض لصدمة وأزمة نفسية بعد ذلك الحادث، فهي تشبه كل تلك الأحداث المؤلمة بصفعات من الزمان، **(كان خبر وفاتهم لدي كالفاجعة، أو شيئا أقسى. شيئا صفعني الزمان به، وما زال يداوم صفعي بأحداثه المؤلمة ولا أعلم لما؟)**[1]

كانت كل تلك الأحزان والمعانات بسبب العنف والظلم عاملا محفزا لها لتبدأ في الكتابة، فكانت هي ملجأها الوحيد لتنفس عن حزنها وألمها، فاستخدمت الكتابة لتهرب من عالمها الافتراضي المليء بالمعانات، فتأخذ القلم لتنقل آلامها وكل ما سببه ذلك العنف الذي تعرضت له من جسدها ليملأ أوراقها لعلها ترتاح وتنزاح عن قلبها بعض الآلام، **(عندما أجتمع مع الدفتر أشعر بأني أسير على أسطره وفق نغم منسجم مع ألمي. في أحيان كثيرة يكفيني أن أغمض عيني حتى أطلق لقلمي العنان أن يبدأ مشواره، فيبدأ الألم حينها بالإنسلاخ من جسدي مباشرة حتى يملأ الورقة حبرا.)**[2]

وتعبر أحلام عن ما خلفه ذلك العنف في نفسها من الخوف، وخاصة العنف الجسدي الذي تعرضت له بعد زواجها من أحمد، فتقول وهي تعبر عن ذلك الخوف بعد أحد مواقف العنف الذي مارسه أحمد عليها، **(ركضت بعدها بخوف الفريسة من صيادها."**[3]**، فأحمد كان عنيفا جدا ومتسلط في معاملته لها، وكانت إن لم تتعرض للضرب على أتفه الأسباب مباشرة فلا بد من التهديد والشتم، " أنا زوجك، اخرسي يا امرأة، والا قطعت لسانك)**[4]

تحدث الروائية عن شتى أنواع العنف الذي تعرضت له أحلام من زوجها وإكراهها على فعل أشياء لا تريدها، كمحاولته لجعلها تقوم بالسجود له متحججا بأن الله أوجب على المرأة

[1] الرواية، ص13

[2] الرواية، ص163.

[3] الرواية، ص151

[4] الرواية، ص149

أن تسجد لزوجها، فتذكر في ذلك، **(قال لي مرة بأن الشرع أباح للمرأة وأوجب عليها أن تسجد لزوجها. كان على وشك أن يجبرني على فعلها لكني لم استسلم لرغبته. غبي تفسيره للدين.)**[1]

وهناك أيضا العنف اللفظي الذي هو شكل من أشكال العنف، يتمثل في السب والشتم والتلفظ بالألفاظ التي تهين الانسان وتحط من كرامته، فقد عرف على أنه (سلوك يتسم بإلحاق الأذى بالذات أو بالأشخاص الآخرين عن طريق السب واللوم والسخرية أو توجيه الألفاظ غير مرغوب فيها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.)[2]

وتجلى هذا النوع من العنف ما كانت تسمعه أحلام من السب والشتم من طرف زوجها أحمد، فقد كان كلامه عنيف ويجرح كما تجرح السكين، فتوضح الروائية ذلك في هذا المقطع،" إن كنت ستعود بهذه السرعة فلم تفرغ جميع أحقادك علي؟ لم تطعن في اخلاقي، وتشكك في مدى عفة نفسي؟ لم تنطق كلاما جارحا يشوهني، ويقتلني؟ يا ليتك تفهم أن كثرة الاعتذار تفقد الاعتذار قيمته، ويا ليتك تعلم أن الكلام يجرح أكثر مما تفعل السكين، بل إنه يدمي ويقتل؟"،[3] أحمد كان دائما ما يحمل زوجته مسؤولية أي خطأ يرتكبه ابنه ياسر، ويتهمها في عدم القدرة على تربيته، ودائما ما يضع عليها اللوم على كل شيء، فيقول:

"**(طالع لأمه ها لخبل**

لم تفلحي في تربية ابنك

أنت امرأة بلا فائدة)[4]

أرادت الساردة أن توضح لنا أن أحمد لم يتوقف عن معاملته السيئة لأحلام وإهانتها، فكان أمره ميؤوس منه حتى لجأت لقراءة كتب عن الصبر لتتعلمه وتحفز نفسها لتبقى

---

[1] الرواية ص 144.

[2] رياحي مصطفى عليان: العنف الفردي والجماعي، "وجهات نظر " دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2014، ص22.

[3] الرواية، ص10

[4] الرواية، ص166.

صامدة أمام ظلمه، فكتب علم النفس لم تعد تنفع معه. فتقول **(كتب علم النفس التي كنت اقراها لم تنفع مع أحمد الآن استبداتها بكتب عن الصبر. وأولئك الذين هزموا اليأس. وقصص الأنبياء والصحابة ومدى صبرهم وجلدهم، ربما يزودني ذلك بقليل من الصبر).**[1]

فالعنف والاستبداد ضد المرأة له آثار سلبية تبقى راسخة سواء ظاهرة كالكدمات والجروح والآثار، أو معنوية كالشعور بالقهر والألم والحزن وفقدان الأمل وانعدام الثقة، وربما الدخول في حالة نفسية كئيبة، كفقدان الأمل والسلام في نفس أحلام، فتقول:**(أخبرني يا صديقي أين يباع الأمان وأين أقتطف ورود السلام؟)**، ففي هذا المقطع تسأل أحلام عن الأمان والسلام وتبحث عنهما، لكثرة ما تعرضت له من العنف الذي تسبب لها بفقدان الثقة وانعدام الأمان. كل هذه المقاطع تبين لنا أشكال العنف الذي تعرضت لها المرأة العربية من الطرف الآخر (الرجل)، وكمية القهر والألم الذي ينتج عنه.

[1] الرواية، ص197

خاتمة

خاتمة:

في ختام هذا البحث حاولنا رصد جميع جوانب صورة المؤنث المقموع في الرواية العربية.

والهدف من هذه الدراسة هو محاولة الكشف عن صورة المرأة عبر الابحار في الدلالات والايحاءات التي تقوم عليها الصورة السردية.

وقد خلصنا إلى النتائج التالية:

-تعتبر المرأة من أهم المواضيع المطروحة في الأدب، لكونها من أهم القضايا القديمة والمتجددة.

-الأفكار الدونية كانت ولازالت تلاحق المرأة حتى في عصرنا الحالي، فهي بطبيعتها خاضعة لسلطة الرجل في جميع الحالات.

-جسدت "فوزية البدواوي" الرجل في صورة المتسلط الذي يسعى إلى اقصاء وحرمان كيان ووجود المرأة.

-تظهر المرأة في مجموعة من الصور التي تبين النظرة القاصرة والدونية لها من طرف الرجل، كصورة المرأة الخاضعة، المستسلمة، والعاجزة أمام الرجل المتسلط، فهي ذات مكانة دون الرجل.

-تجلت المرأة في رواية "ذاكرة من حنين" في صور عديدة نذكر منها: المرأة المثقفة/ المرأة الخاضعة/ المرأة المعنفة/ والمرأة المتمردة التي تسعى الى كسر الحواجز لتخرج عن سيطرة المجتمع.

-جسدت لنا رواية "ذاكرة من حنين" صورة تعكس الواقع التي تعيشه المرأة وما تتعرض له من العنف والقهر والظلم على المستوى الأسري أو على مستوى المجتمع.

-ظاهرة العنف ليست وليدة العصر وإنما هي ظاهرة قديمة منتشرة داخل المجتمعات العربية، وله عدة أشكال منها: العنف الجسدي، العنف اللفظي، العنف المعنوي، ...

-استخدمت "فوزية البدواوي" ظاهرة التمرد كوسيلة للدفاع عن ذات المرأة من خلال ما أوحت به في نهاية الرواية.

-انتصار المرأة على تلك السلطة (الذكورية /الاجتماعية /الثقافية) ومحاولة تثبيت الحق في التعبير وابداء الرأي.

-باعتبار المرأة تمثل نصف المجتمع، فهي من أهم المواضيع التي تتطلب الحذر في التعامل معها .

وفي الختام نقول الحمد لله الذي وفقنا وسدد خطانا لإنهاء هذا العمل البسيط الذي كشفنا من خلاله عن البعض من صور المرأة وأشكال قمعها في الرواية العربية، والذي قد يكون بداية موفقة للدراسة والبحث عن موضوعات جديدة.

قائمة والمصادر

المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: الكتب:

1. احسان عبد القدوس، صورة المرأة في روايات احسان عبد القدوس، دار القصة للنشر، د ط، الجزائر، 2000.

2. أحمد خليل، المرأة العربية وقضايا التغير، بحث اجتماعي في تاريخ القصر النسائي، دار الطلبة، بيروت، ط1، 1972.

3. بوشوشة ين جمعة، سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية، ط1، الجزائرية للطباعة والنشر، تونس، 2005.

4. رياحي مصطفى عليان: العنف الفردي والجماعي، "وجهات نظر " دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014.

5. زانغ كزيليانغ، نصف الرجع امرأة، ترجمة ابي نادر، ط1، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، 1999.

6. الشريف حبيلة، الرواية والعنف، (دراسة سيوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة)، عالم الكتب الحديث، إربد، الاردن، ط1، 2010/1431.

7. صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، بسكرة، الجزائر، ط2، 2009.

8. عادل النادي، مدخل إلى كتابة الدراما، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1993.

9. فضيلة الفاروق، اكتشاف الشهوة، ط1، رياض الريس، بيروت – لبنان، 2006.

10. محمد بكاي، الغيرية واشكالية الهوية النسوية عند لوس إيريغاراي: نضالات الذات النسوية أمام الهيمنة الذكورية، في كتاب "الفلسفة والنسوية "اشراف وتحرير د. علي عبود الحمداوي، منشورات ضفاف – لبنان، ودار الأمان – المغرب، ومنشورات الاختلاف– الجزائر، ط1، 2013م.

11. محمد نور الدين افايه، الهوية والاختلاف، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1988.

12. مرفت تلاوي : العنف ضد المرأة، 15 محمد محافظ متفرع من شارع الثورة، المهندسين، الجيزة، مصر، ط1، 2012.

13. نجيب العوفي: مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1987، ط1.

14. نوال السعداوي، المرأة والصراع النفسي، دار مطابع المستقبل بالفجالة، ط3، القاهرة، 1993.

المجلات:

15. أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، دار الأدب بيروت، فرنسا، 1998.

16. حبيبلة، الرواية والعنف.

المذكرات:

17. صبرينة الطيب، آليات السرد في الرواية النسوية الجزائرية دراسة بنيوية تحليلية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

الروايات:

18. سعاد طويل، الروائية النسائية العربية وخطاب الذات، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد السادس، 2010.

19. فوزية البداوي، ذاكرة من حنين، ط2، مكتبة كنوز المعرفة، الأردن، 2021.

20. مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية.

المراجع الأجنبية:

21. Luce irigaray،le temps de la défférence.pour une révolution pacifique،L.G.F،"Le lireve de poche.Biblio"،1989.

ملاحق

ملحق

التعريف بالروائية فوزية البدواوي:

فوزية البدواوي هي روائية عمانية ذات 23 ربيعا، حاصلة على باكالوريس طب وجراحة الفم والاسنان من كلية عمان لطب الأسنان 2017م.

صدرت لها أربع روايات:

-خطان متوازيان.

-حضور من سراب.

-ذاكرة من حنين.

-لا أريد أن أكبر.

ومجموعة قصصية:

-غارقون في الخطيئة.

لها مشاركات محلية ونشرت العديد من المقالات والخواطر في مجلات عدة:

-مجلة المرأة، عمان.

-مجلة الحقيقة الالكترونية، الكويت.

حائزة على العديد من الجوائز نذكر منها:

-المركز الأول في جائزة إبداعات شبابية في مجال (القصة القصيرة) على مستوى نادي مصيرة للعام 2015.

-المركز الأول في جائزة إبداعات شبابية في مجال (القصة القصيرة) على مستوى نادي مصيرة للعام 2016.

-المركز الثالث في جائزة الكاتب عبد الله سعيد باقلاقل في مجال (القصة القصيرة)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

امعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

سم اللغة والأدب العربي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

ا الممضي أدناه،

سيد(ة): فيصل خولة الصفة: طالب

حامل(ة) لبطاقة التعريف رقم 207373357 والصادرة بتاريخ 2022/1/16 بدائرة امسيلة

مسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات، قسم: اللغة والأدب العربي

لمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:

المؤنث المقموع في الرواية المرئية

مذكرة من ضمن متطلبات الرواية

سمح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز بحث المذكور أعلاه.

08 جوان 2022

المسيلة في : .. / .. /....

إمضاء المعني

08 جوان 2022

نثمن ونصدق على التوقيع

المسيلة في

رئيس المجلس الشعبي البلدي

بلعابي صليحة

لاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): رندة موساب الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 206796757 والصادرة بتاريخ: 21/06/16 بدائرة الحمامة

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:

لكونت الممنوع في رواية المرية "دراسة من حدين" لمرزاية الميراوي

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في: 08/06/2022

إمضاء المعني

ملاحظة: أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى كشف صورة المرأة في الرواية العربية، من خلال الوقوف على ما قدمته الروائية فوزية البدواوي في روايتها "ذاكرة من حنين"، التي أرادت من خلالها تجسيد واقع المرأة في المجتمع الذكوري، والتعريف بأشكال قمع المرأة، والقضايا الاجتماعية التي تعاني منها في العصر الحديث أمام سلطة الذكر، مهما كانت نوع العلاقة التي تربطها به.

الكلمات المفتاحية: الأدب النسوي– السلطة الذكورية– الاضطهاد– التهميش– الرواية.

Abstract

This study aims to reveal the image of women in the Arab novel, by standing on what the novelist Fawzia Al-Badwawi presented in her novel "The Memory of Nostalgia", through which she wanted to embody the reality of women in a patriarchal society, and introduce the forms of women's oppression, and the social issues that they suffer from in the modern era. In front of the male authority, no matter what kind of relationship she has with him.

Keywords: Feminist Literature - Male Power - Persecution - Marginalization - Novel.